AL-HADAF

الهدف

العدد ١٣٢٩ - ٢ أيار (مايو) ٢٠٠٢ - السنة الثالثة والثلاثون - الثمن ٢٠ ل.س - ١٠٠٠ ل.ل

AL-HADAF - No.1329 -2/5/2002

دلالات الصهيونية في قراءة مرتبكة

أمريكا تواصل حربها القذرة

وشعبنا لن يموت

Institute for Palestine Studies
The Library
Discarded

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

تنعي إلى جماهير أمتنا العربية وشعبنا الفلسطيني البطل

الشهيد القائد ربحي حداد

عضو اللجنة المركزية العامة أحد أبرز قادة الجبهة

كان الرفيق الشهيد عضواً في حركة القوميين العرب ومن القيادات الأساسية والمؤسسة للجبهة، في الضفة ومدينة نابلس، واعتقل أكثر من مرة في سجون الاحتلال الصهيوني ولسنوات طويلة، وحُرر في عملية تبادل للأسرى في ٢٠/٥/١٩٨٥.

كان الرفيق الشهيد عضواً في المكتب السياسي للجبهة منذ ١٩٨١ ولغاية ١٩٩٣

وعضواً في اللجنة المركزية منذ ١٩٩٣.

نعاهد شهيدنا البطل القائد ربحي حداد وكل شهداء شعبنا الباسل أن دمائهم لن تضيع هدراً، وسينتقم شعبنا وأمتنا من القتلة والمجرمين.

وعهداً على مواصلة الكفاح والنضال على طريق الشهداء الميامين حتى تحرير فلسطين.

المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

٢٠٠٢/٤/١٠

بوحدتنا وتمسكنا بحقنا في المقاومة تصان حقوقنا

تتوالى المشاهد الدموية المرتبطة بالرؤيا الصهيونية لسبل حل مأزقهم الاستعماري الاستيطاني، وما يواجهه من تحديات، جعلت من حلم الأمن والاستقرار الذي وعد به شارون شعبه بعيد المنال.

وبالتالي فإن الجزار والسفاح شارون وأركان حكومته الضالعين في مجازرهم وإرهابهم المتواصل، لم يجدوا بدّاً من ارتكاب مجازر تفوق في اتساعها ودمويتها، كل ما شهدته البشرية في التاريخ الحديث، وبالاستناد إلى مشاركة عسكرية وسياسية موغلة في صلفها وعنجهيتها. فارتكاب المجازر وتدمير المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية والمؤسسات والوثائق، وضرب الطواقم الطبية وعدم التورع عن استباحة الأماكن المقدسة المسيحية والإسلامية، وتدمير الأماكن الأثرية والمزروعات، وترك الجرحى ينزفون حتى الموت، وفرض حصار على وسائل الإعلام، ومنع المساعدات الإنسانية من الوصول للأماكن المحاصرة، وتجاهل كل دعوات المجتمع الدولي والمنظمات الإنسانية والأمم المتحدة، كلها مؤشرات للمستوى اللاإنساني واللاأخلاقي لقيم السيد الأمريكي.

وقد تركت هذه الموجة الجديدة من الهمجية المتوحشة دائرة من الشك حول دور كل المؤسسات والهيئات الدولية. فمستوى الإدانة الدولية لمجازر وانتهاكات جيش شارون لم تكن بمستوى ما ارتكبه ضد الإنسان والحجر الفلسطيني في جنين ونابلس ورام الله وبيت لحم.. إلخ، ففي الوقت الذي يتعرض فيه الشعب الفلسطيني وهيئاته ومنشآته وتراثه وكل ذاكرته الجماعية للتدمير المنهجي يحاول الأمريكيون المشاركون في جرائم إسرائيل اتهام القائد المحاصر بأنه راعي الإرهاب والإرهابيين، بينما يتحدثون عن الإرهابي أنه رجل سلام.

وأمام هول وجسامة المؤامرة وتشابكاتها المحلية والإقليمية والدولية وعجز هذا الجبروت عن خلق قيادات بديلة، بحكم تماسك القيادة الفلسطينية والقوى الوطنية والإسلامية والشعب الفلسطيني، فإن محاولاتهم مازالت مستمرة، فصمود شعبنا وإيمانه بعدالة قضيته، سوف يلحق الهزيمة بهذه المؤامرة المركبة الدنيئة، وشعب الجبارين لن يستسلم وسيواصل مشواره حتى تحقيق النصر.

وما هو معروض علينا بغض النظر عن الكليشهات لا يفعل أكثر من أنه يمهد الطريق لتكريس الاحتلال والاستيطان. ويحاول أن يجبر شعبنا وقيادته على القبول بهذا الحل المسخ، استناداً إلى ضعف الموقف الرسمي العربي وعدم قدرة الموقف الأوروبي على مواجهة الضغوط والهجمات السياسية الأمريكية. وإطلاق العنان لشارون وتعطشه للدماء كسبيل لخلق معطيات جديدة على الأرض، أملاً في كسر إرادة المقاومة ومواصلة النضال حتى تحقيق أهدافنا في إقامة الدولة المستقلة وعاصمتها القدس، وحق العودة لأهلنا في الشتات.

واعتمد المخطط الأمريكي الشاروني النازي الجديد الإرهابي بتصرف لتحقيق أغراضه على ما يلي:

- ضخامة الممارسات الوحشية الدموية الإسرائيلية على المناطق الفلسطينية، والأمل في أن تساهم هذه الممارسات في خلق حالة من الفوضى في المجتمع الفلسطيني.
- استمرار البحث عن بدائل للقيادة الفلسطينية في الوقت الذي تشتد فيه الضغوط النفسية والعسكرية والسياسية على الرئيس المحاصر ياسر عرفات، على أمل أن تساهم تلك الضغوط مع تضاءل فرص نجاح المجتمع الدولي في وضع حد لهذه الهجمة، بسبب حماية الولايات المتحدة ورفضها بوش للعدوان الإسرائيلي.
- العودة بقضيتنا مجدداً إلى مرحلة المناورات السياسية الإسرائيلية الهادفة إلى إطالة أمد الاحتلال من خلال تسويق الرؤيا الشارونية لعقد مؤتمر إقليمي للسلام بدون مشاركة فلسطينية.
- تزايد الضغوط الأمريكية الإسرائيلية على النظام الرسمي العربي، للتسليم برؤيتهم المشتركة لما يسمى بالعنف والإرهاب. والتي تعبر مقاومة الشعب الفلسطيني المشروعة للاحتلال والإرهاب الصهيوني إرهاباً.
- إعطاء شارون المزيد من الوقت لاستمرار عدوانه على الشعب والقيادة الفلسطينية كأحد الوسائل المتبعة أمريكياً وإسرائيلياً لإرهاب المنطقة بأكملها وتسهيل مهمة ضرب العراق والاعتداء على سيادته.
- عدم الاكتراث الأمريكي الذي وصل إليه الوضع الرسمي العربي، في عيون الجماهير العربية والمنتفضة في كل مكان، والتعويل على استمرار هذا الوضع كوسيلة لتكريس التجزئة، لتخلف وغياب التضامن القومي الفعال.

وأمام مأساوية هذا الوضع لا بد أن يتعمق إيمان شعبنا بقدرته على هزيمة هذا المخطط العدواني السافر على صخرة صموده وصمود قيادته السياسية، وبشكل خاص، فإن السلطة الفلسطينية ورئيسها ياسر عرفات مدعوة إلى مزيد من الوحدة والتضامن وثبات في الموقف السياسي المتمسك بحق شعبنا في نيل حريته واستقلاله، وعدم الانصياع للمؤامرات الأمريكية الإسرائيلية، والعودة بقضيتنا إلى مربع الحلول الأمنية، فالاستجابة لشروط إسرائيل وإملاءاتها بمحاكمة المناضلين الذين نفذوا حكم الشعب في المجرم زئيفي، طعنة للوحدة الوطنية، ومؤشراً سلبياً على شرعية نضالنا ودفاعنا عن شعبنا وحقنا في المقاومة. فلا مجال لأية محادثات حول الوضع النهائي قبل إجبار إسرائيل على الانسحاب الكامل من الأراضي الفلسطينية وتحديد مستوى مسؤولية إسرائيل عن المجازر والتخريب الذي مارسته فوق أرضنا، ورفض العودة إلى ما يسمى بتفاهمات تينيت وميتشل، وضرورة توفير حماية دولية لشعبنا، وتحمل الأسرة العربية لمسئوليتها القومية بإسناد المطالب الفلسطينية في إقامة الدولة المستقلة وعاصمتها القدس، وحق العودة والتمسك بحقنا في المقاومة المشروعة للاحتلال حتى يتم جلاءه وخلاص شعبنا من رجس الاحتلال وأعماله الشيطانية. وتبني القوى الوطنية والإسلامية لاستراتيجية نضالية تحافظ على إنجازات شعبنا ولا تعرضها للخطر، وتمسك الجميع بكل ما يمكننا كشعب وثورة من انتزاع حقوقنا وصونها من التبديد.

أسسها
عام ١٩٦٩
الشهيد
غسان كنفاني

رئيس التحرير
جواد عقل

سكرتير التحرير
أحمد. م. جابر

المدير الفني
زهدي العدوي

ثمن النسخة

لبنان ١٠٠٠ ل.ل	الجزائر ١٥ دينارًا	المغرب ١١ درهم
سوريا ٢٠ ل.س	ليبيا دينار واحد	أمريكا وكندا ٣ دولار
الأردن ٥٠٠ فلس	تونس ١.٢٥ د.ت	ألمانيا ٥ ماركات
العراق ٥٠٠ د.ع	صنعاء ١٥ ريالاً	إسبانيا ٣٠٠ بيزيته
الإمارات ١٠ دراهم	السودان ٦ جنيهات	

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي بما فيها أجور البريد:
سوريا ٦٠٠ ل.س - لبنان والأردن ٣٠ دولار
- بقية الدول العربية ٥٠ دولار

يتم الاشتراك بإرسال إشعار الإيداع بقيمة الاشتراك السنوي (أو نصف السنوي) باسم رئيس التحرير على العنوان التالي:
بنك بيروت والبلاد العربية - شتورا - لبنان
رقم الحساب:
(AC.No.0013-373179-001-840)
أو بإرسال شيك بنكي باسم رئيس التحرير
دمشق / ص.ب: ٣٠١٩٢

المكاتب:

دمشق: ص.ب ٣٠١٩٢ - هاتف: ٦٣٢٨٢٦٧ - فاكس: ٦٣١٩٣٧٤
بيروت: ٣٠٩٢٣٠ - عمان: ٦٩٦٣٤٠ - الجزائر: ٥٩٤٥٤٨ - ٣٨٤٣٠٤
بغداد: تليفاكس ٧٧٨٢٦٩٠ - صنعاء: ٢٠٥٨٤٩
الموقع الرسمي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين على الإنترنت:
بالإنكليزية: http://www.pflp-pal.org
بالعربية: http://www.pflp-palestine.org
الهدف على الإنترنت: http://www.alhadaf.cc
البريد الالكتروني: alhadaf@mail.sy

التوزيع

* التوزيع في الجمهورية العربية السورية:
المؤسسة العربية لتوزيع المطبوعات
* التوزيع في المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
* التوزيع في العراق: الشركة الوطنية للتوزيع والنشر
* في الأردن: شركة الفريد للنشر والتوزيع - عمان

الهدف AL- HADAF
سياسية عربية كل الحقيقة للجماهير

سياسية عربية. شهرية

٢ أيار (مايو) - ٢٠٠٢ - العدد ١٣٢٩ - السنة الثالثة والثلاثون
الثمن ٢٠ ل.س / ١٠٠٠ ل.ل

AL-HADAF - No.1329 - 2/5/2002

كلمة

مشهدان غطيا على السمع والبصر، متناقضان في الشكل والجوهر، يطرحان الكثير من الأسئلة، أسئلة حارقة لا تبارح تلسع العقل والقلب بسياط الاستفهام!

مشهد أول: أطفال مخيم جنين، المخيم الشهيد، يرفضون المساعدة الأمريكية، ويعيدون صناديق الأغذية والألعاب إلى الشاحنات رافضين يد القاتل تمتد إلى ضحيته، لتقلب الحقائق، وتتطهر من رائحة الدم.. ولكن القتيل ينهض من رماده.. ليقول لا.. ينهض الفلسطيني مرة أخرى من حطام المخيم وزلزال المجزرة ليعيد شرارة الكفاح نبض الانتفاضة.

مشهد ثان: السلطة الفلسطينية تحاكم الأبطال الذين أعدموا الفاشي زئيفي.. ولا تكتفي بارتكاب خطيئة الحكم عليهم بل وأيضاً توافق على صفقة العار التي تقضي بتسليمهم إلى حراسة أمريكية - بريطانية، قابلة بالوصف المعادي لما قام به الأبطال بأنه إرهاب!!

وهذا يدفع للسؤال عن المدى الذي ستصل إليه تنازلات السلطة ليس فقط على المستوى الأمني وإنما السياسي أيضاً..

الأبطال من أعضاء الجبهة الشعبية، والأمين العام للجبهة الرفيق القائد أحمد سعدات سيبقون في زنزاناتهم منارة الحرية والكفاح.. وأعداؤهم والمتآمرون عليهم إلى مزبلة التاريخ..

جنين يعطي الدرس.. وقرار السلطة يدق ناقوس الخطر.. من يفهم الدرس ومن يستنفر في مواجهة الخطر..

في هذا العدد

أمريكا تواصل الحرب ٦
المبادرة السعودية.. خلفيات وآفاق ١٤
عن البعد الأخلاقي للمجزرة ١٧
شهادة السيدة هدى حنا ١٧
سبب السبب في ربيع الدم الفلسطيني ١٨
قوة الدم وغرور السلاح ٢٠
أمريكا والعرب ٢٢
وطن لا نحميه لا نستحقه ٢٤
الإعلام المغربي والقضية الفلسطينية ٢٦
شباب عرب.. عن العدوان والقمة والانتفاضة ٢٩
طلبة أجانب يتضامنون مع فلسطين ٣٢
الاتحاد الأوروبي والصراع العربي الإسرائيلي ٣٤
فنزويلا.. عداء أمبريالي مبكر ٣٦

ثقافة وفنون

دلالات الصهيونية ٤٠
أسبوع فلسطين في دار المدى ٤٤
نصر حامد أبو زيد في نادي غسان كنفاني ٤٦

سبب السبب
في ربيع الدم
الفلسطيني
١٨

موضوع الغلاف:

أمريكا تواصل
حربها القذرة
وشعبنا لن يموت

أمريكا
تواصل
حربها القذرة
ضد
فلسطين
والأمة
العربية
٦

الاتحاد
الأوروبي
والصراع
العربي -
الإسرائيلي

أسبوع «المدى» الثقافي الثالث بدمشق
فضاء ثقافي مفتوح على القضايا الساخنة!
٤٤

الحدث

أمريكا تواصل حربها القذرة ضد فلسطين والأمة العربية

جواد عقل

تريد أمريكا أن تلغي بشكل تعسفي مدلولات الحضارة الإنسانية والذاكرة التاريخية للأمة العربية، من خلال ترويجها وبشكل مسبق، لمنظومة قيم معادية لتراثنا وحضارتنا، فلصق الإرهاب وبشكل تعسفي لنضالنا المشروع ضد مغتصب تجمعت فيه كل عناصر مكونات المجتمعات الاستعمارية المختلفة وسيئاتها من ظلم واستعباد وعنصرية وفاشية ومجازر وإرهاب قل نظيرها في تاريخ البشرية القديم الحديث.

فممارسة حكومة شارون المدعومة أمريكياً بعيداً عن القيم الإنسانية والأخلاقية ومنظومة القيم والمفاهيم والمبادئ التي رسختها البشرية عبر نضالها الطويل، مكن شارون الجزار والإرهابي من ممارسة سياسة إبادة جماعية ضد الشعب الفلسطيني وكل مكوناته البشرية والمادية. فقتل الأبرياء بدم بارد وانتهاكات متواصلة لحقوق الإنسان ومواثيق ومعاهدات جنيف وملاحقة وسائل الإعلام وتدمير المدن والقرى والمخيمات، وقطع الماء والكهرباء، وتدنيس أماكن العبادة المسيحية والإسلامية، بشكل وحشي كلها ممارسات تمت برعاية الولايات المتحدة ومشيئتها. فالتطورات السياسية الدراماتيكية تتجاذب تدهور الأوضاع الخطيرة في الشرق الأوسط، بعد اجتياح إسرائيلي فاشي دموي قل نظيره في تاريخ الإنسانية، فضحايا الهولوكوست كما يقولون يمارسون ممارسات وحشية تفتقر إلى الأخلاق والقيم الإنسانية النبيلة، حيث وحشيتهم ودمويتهم وسلوكياتهم وممارساتهم على الأرض وعلى كافة المستويات كانت المثل الصارخ لقدرة نظام تربى وقام على أسس سياسية ونظرية مزيفة وقائمة على الافتراءات والأكاذيب وحظي بمساندة الدول الكبرى، وبقي من وجهة نظر الغرب واحة الديمقراطية.

لكن حقائق الأشياء كرستها ممارساتهم وصلفهم وعنجهيتهم وفاشيتهم وبربريتهم.

فارتكاب المجازر وقتل الأبرياء وتدمير المدن والقرى والمخيمات بطرق وحشية وخروقات فاضحة لحقوق الإنسان، وتدمير منهجي لمجتمع بأكمله، أصبحت الصفة الملازمة لحكومة إسرائيل، فالمشهد في فلسطين يفرض على كل إنسان يمتلك حداً أدنى من الموضوعية أن لا يغفر لإسرائيل وقادتها تلك الجرائم البشعة الموغلة في وحشيتها، وكل هذه الأعمال التي تعجز أبلغ الكلمات عن وصفها، فانتهاك وتمزيق وتمريغ كرامة البشرية بمثل تلك الجرائم يشكل سابقة فريدة في التاريخ البشري، لكن ربما يعود السبب إلى مشاركة دولة كبرى كالولايات المتحدة لهذا الثور الهائج جرائمه. فالإدارة الأمريكية لا تشارك فقط في إبادة شعب فلسطين، وإنما تبذل كل ما لديها من جهد سياسي وإعلامي لتسهيل مهمة جزار وسفاح وقاتل كشارون، وتغطي وتتستر على جرائمه وبشاعتها والتي فاقت بما لا يوصف جرائم هتلر وممارساته ضد الإنسانية.

فزعيم الدبلوماسية الأمريكية يمتطي طائرة ليشرف من أرض لبنانية محتلة على تهديد لبنان وشعبها وكذلك سوريا، بينما يتجاهل صاحب السعادة مجازر جنين ونابلس، ويرفض زيارة مخيم الصمود والتحدي، والذي حوله النازيون الجدد إلى ركام، وحولوا جثث أبنائه إلى جثث هامدة متفحمة بنيران عنصريتهم وجرائمهم، فأين المجتمع الدولي من تلك الجرائم ومشاهد الوحشية المتكررة فوق ثرى فلسطين الطاهر منذ أكثر من ١٩ شهراً. أين أقمارهم الصناعية التي رصدت مجازر وجرائم ميلوسوفيتش ضد أبناء كوسوفو. على ما يبدو أن أقمارهم الصناعية لا تجيد سوى التجسس على أوطاننا وتهديد أمننا القومي وسيادتنا الإقليمية والقومية. أين المنظمات الإنسانية؟ أين الكنيسة مما يرتكب بحق

جنين.. لن ننسى ولن نغفر

موطن سيدنا المسيح؟ أين الأمم المتحدة ورئيسها والدول المشاركة فيها من رفض إسرائيل الدائم والمستمر لقراراتها؟ ماذا نرى ماذا نشاهد فوق أرضنا في فلسطين؟ أهي شريعة الغاب؟! أم فصولاً جديدة من وحشية العولمة واختراعاتها الجديدة للشعوب الطامحة في بناء مستقبلها ومستقبل أجيالها بعيداً عن سياسة الشروط والإملاءات المذلة التي تمارسها الدول المتطورة بتوجيه وإرادة أمريكية، وماذا تريد الولايات المتحدة هل تريد أن تمارس سادية قيادتها الجديدة في إبادة الشعوب والتخلص من شرورها لمصلحة مدنيتهم وحضارتهم التي تخلو من كل بعد أخلاقي وإنساني، وتدمر كل ما أنتجته البشرية من خلال تفاعلها الإنساني والحضاري لترسيخ قيم الحق والعدالة والإنسانية والأخلاق.

شعب بأكمله يحاصر، تدمر كل ممتلكاته المادية والثقافية، تباد حتى كل وثائقه المتعلقة بالبشر وأملاكهم وإنتاجهم الفكري على مرأى ومسمع من البشرية بأكملها، ويأول يمارس سادية حكومته في جولة سياحية تطول من أجل تمكين الجزار من الإتمام على جريمته، والاحتياط ليتمكن من إخفاء معالمها، وكلنا سمع ورأى وشاهد مجريات تدمير وتجريف مخيم جنين والفصول المروعة التي قام بها القتلة والجلادون الصهاينة بمباركة مكشوفة ومفضوحة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية، فرغم بشاعة المشهد ومأساويته مازال الجزارون يتحدثون عن ضرورة أن تتوقف الضحية عن ممارسة العنف ضد الجلاد.

وفي خضم هذا المشهد المأساوي الذي أثبت عدم كفاءة النظام العالمي ومؤسساته ومواثيقه ومعاهداته على مواجهة هذا السيل الجارف من الوحشية والعدوان والدموية. فلا الأنظمة الرأسمالية حاملة لواء الدفاع عن حقوق الإنسان ومعاهدة جنيف الرابعة، ولا الأمم المتحدة ولا المنظمات والهيئات الإنسانية، ولا النظام الرسمي العربي المثقل بكوابيس الانتظار للمجهول الآتي، استطاع أن يقدم الإجابة الشافية لتساؤلات البشرية وجموع جماهيرها، والتي هالها ما رأت من جرائم ترتكب في مطلع هذا القرن فعبرت بكل السبل والوسائل المتوفرة لها في بلدانها عن شجبها وإدانتها لجرائم شارون وحكومة إسرائيل، وأعمالها الوحشية ضد الشعب الفلسطيني الأعزل، لكن السؤال بقي رغم ذلك بلا جواب، ما هو السبيل لإيقاف مصاص الدماء وكيف يمكن للإنسانية أن تتخلص وللأبد من أمثال شارون ومشاركيه في الجريمة؟ وكيف يمكن تجنيب البشرية من مسلسل الجرائم والمشاهد التي نشاهدها فوق أرض فلسطين؟ إن هذا السؤال سيبقى برسم الإجابة ويحتاج من كل القوى المحبة للسلام والاستقرار والأمن والعدل في العالم أن توحد جهودها وطاقاتها لوقف هذا المسلسل الدموي التدميري لمستقبل البشرية، فلا يعقل أن تبقى البشرية رهينة لهذا الفكر التدميري والجنوني تحت يافطات وذرائع غير واقعية، فمحاربة الإرهاب تستدعي سلم قيم إنسانية تقوم على أساس التصدي الناجح لأسباب الإرهاب وخدمة الخط الإنساني والأخلاقي لبناء مستقبل للإنسانية، يقوم على المحبة والعدل والمساواة واحترام المواثيق والمعاهدات الدولية والإقلاع عن سياسة الكيل بمكيالين، ومغادرة منهج التسلط والهيمنة وفرض الشروط والإملاءات واحترام الموروثات الثقافية والإنسانية للشعوب، وفسح المجال أمام تفاعل حضاري يقرب الشعوب من بعضها ويلغي كل مظاهر الظلم والاستعباد، وتوحيد الجهود الإنسانية للتغلب على مشكلات الفقر والجوع والمرض، بدلاً من سياسة الغطرسة والقوة والتلويح بالعقوبات والحروب فشعب فلسطين ضحية الظلم والعدوان والتسلط والنازية والدموية الجديدة سيخلق بصمود قيادته وتمسكها بثوابت الموقف الوطني والإرادة الشعبية التي لن تهزها ضخامة وهول ما اقترف بحقهم من جرائم، كل مكونات وعناصر هزيمته للمشروع الشاروني الهادف إلى إبادة الشعب الفلسطيني، وكسر شوكته وإرادته في النضال حتى يتم تحقيق أهدافه في الحرية والاستقلال، وسيمهد هذا الشعب الصغير الجبار بصموده الأسطوري الأرضية لبناء مجتمع إنساني قائم على كل ما هو نبيل وإنساني وأخلاقي في تراث البشرية وتاريخها.

والأمة العربية بواقعها الشعبي المتمرد على الاستكانة وقبول الإملاءات والشروط الأمريكية لرسم صورة ومستقبل النظام الرسمي العربي وتعاطفها وتضامنها مع الشعب الفلسطيني، ستمهد الطريق لبزوغ مكونات عناصر إحياء الذاكرة التاريخية للأمة، والتي ستفتح الباب أمام قدرة القوى الشعبية العربية على ممارسة ضغوط على النظام الرسمي العربي لتوفير الحدود الدنيا لمواقف وسياسات عربية رسمية أكثر قرباً من نبض الشارع، فالارتهان لأعداء الأمة لن يقدم طوق النجاة لأحد، لكن الارتفاع إلى مستوى المسؤولية القومية وضروراتها الواقعية سيفتح الباب لتضامن عربي فعال ومواقف قومية متزنة وفاعلة ومؤثرة يمكن أن يحسب لها حساب. وسيستمر أعداء الأمة ومستقبلها وتحديداً الولايات المتحدة، في إدارة الظهر لمواقف حتى أعز أصدقائهم في المنطقة، طالما بقوا بمنأى عن دفع ثمن تحيزهم لإسرائيل.

ونحن على يقين أن وقفة العز والكرامة الشعبية التي عمت أرجاء هذا الوطن ستعبد الطريق لمواقف عربية رسمية على الصعد السياسية والاقتصادية، قادرة على تمهيد الطريق لبداية استجابة ناجحة للتحديات التي تواجهها الأمة ومستقبلها ومصيرها من العدوان الأمريكي الإسرائيلي الدموي على شعب فلسطين وقيادته كبروفة لتركيع الأمة بأكملها.

الأمين العام والمؤسس يبرقان إلى الرئيس الأسد

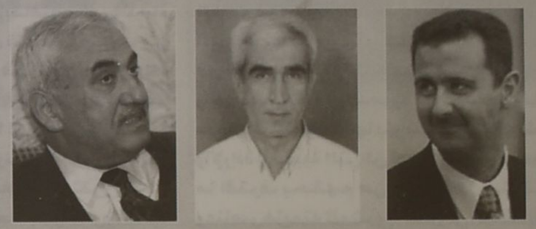

٢٠٠٢/٤/١٧

أبرق الرفيق الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين إلى السيد الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية، مهنئا بالذكرى السادسة والخمسين لعيد الجلاء. مؤكداً على أهمية فشل الهجمة الصهيونية على شعبنا الصامد المقاوم، وعبر الرفيق الأمين العام عن تقديره وتحيته للشعب العربي السوري الشقيق في يوم الجلاء المجيد.

وفي المناسبة ذاتها أبرق الرفيق القائد د. جورج حبش إلى الرئيس الأسد مؤكداعلى معنى وقيمة الجلاء وأهمية استمرار المقاومة حتى الاستقلال والتحرر والبناء.

المكتب السياسي يبرق إلى الرئيس صدام حسين

٢٠٠٢/٤/٨

أبرق المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين إلى سيادة الرئيس صدام حسين رئيس جمهورية العراق، مقدراً الخطوة الكبيرة والشجاعة التي اتخذها العراق في وقف الصادرات النفطية لمدة شهر احتجاجا على العدوان الغاشم الذي يتعرض له شعبنا الفلسطيني.

وطالب المكتب السياسي جميع الدول العربية النفطية أن تحذو حذو العراق الشقيق، وضرورة استخدام النفط كسلاح في المعركة مع أعداء الأمة ومستهدفيها.

زيارة ناجحة لوفد الجبهة إلى المغرب

قام وفد من الجبهة الشعبية لتحرير فلسين برئاسة الرفيق عمر قطيش عضو اللجنة المركزية للجبهة بزيارة ناجحة إلى المغرب

استغرقت أسبوعين من ٣/٢٠ إلى ٤/٣ تلبية لدعوة من الرفاق في النهج الديمقراطي، وتخلل الزيارة سلسلة من النشاطات السياسية والإعلامية والجماهيرية في كل من الدار البيضاء والرباط والقنيطرة والعرائش وطنجة ومراكش.

والتقى الرفيق أثناء إقامته في المغرب عدداً هاماً من القوى السياسية الرئيسية في المغرب وفي مقدمتهم الرفاق في النهج الديمقراطي برئاسة الرفيق عبد الله الحريف الكاتب الوطني ونائبه مصطفى براهمة وعدد من أعضاء الكتابة الوطنية، حيث جرى استعراض الأوضاع في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وطرح رؤيتنا السياسية لأبعاد المخططات العدوانية الأمريكية الإسرائيلية على شعبنا وقيادته وعلى الأمة العربية.

وقد أكد الرفاق في النهج الديمقراطي على تطابق وجهات النظر السياسية حول المسألة الفلسطينية والأوضاع العربية، واعتبر الطرفان في بلاغ مشترك أن الحل العادل والنهائي، يتمثل في إقامة دولة ديمقراطية على كامل التراب الوطني الفلسطيني، وأكد الطرفان حرصهما على مواصلة الحوار والتشاور وتطوير التعاون على كافة المستويات السياسية والإعلامية والأيديولوجية، وجرى بينهما التوقيع على بروتوكول تعاون، وكان وفد الجبهة قد التقى القوى السياسية التالية:

- الكاتب الأول بالنيابة للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية وزير السكن المغربي سعادة الأستاذ محمد اليازجي، حيث قدم له الوفد رسالة من الرفيق المؤسس د. جورج حبش، تتضمن رأينا في الأوضاع الفلسطينية وسبل استثمارها وحمايتها.
- المؤتمر الوطني الاتحادي برئاسة أمينه العام الدكتور عبد المجيد توزيع، وعدد من قياديي حزب اليسار الاشتراكي.
- اليسار الاشتراكي الموحد بحضور وفد قيادي من طرفهم.
- الحزب الديمقراطي الاشتراكي برئاسة أمينه العام يمين أبو رديفي وأعضاء من المكتب السياسي.
- حزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي بحضور الأمين العام عبد الرحمن بن عمر.
- حزب التقدم والاشتراكية بحضور عضوين من المكتب السياسي.
- تلبية دعوة للمناضلة النسائية المغربية حياة التاجي وعضو مؤسس في اللجنة المغربية لدعم الشعب الفلسطيني في الدار البيضاء.
- لقاء مع المناضل المغربي في منزله إبراهيم السرفاتي.
- زيارة للمناضل الطلابي المغربي عبد العزيز المنبي.

وقد عبر الجميع عن تضامنهم ودعمهم لنضال الشعب الفلسطيني، وأكدوا على ضرورة واهمية تعزيز الوحدة الوطنية الفلسطينية في وجه الهجمة الأمريكية الإسرائيلية التي تستهدف الشعب الفلسطيني والأمة العربية.

هذا وقد التقى الوفد عدداً من المنظمات النقابية والجماهيرية المغربية ومنظمات حقوق الإنسان، ممثلة في الكونفدرالية الديمقراطية للشغل واللجنة الوطنية للتعليم العالي في الدار البيضاء والجبهة المغربية لحقوق الإنسان والاتحاد المغربي للشغل.

وشارك الوفد أثناء إقامته في العديد من المهرجانات السياسية التضامنية مع الشعب الفلسطيني والتي تميزت بمشاركة جماهيرية، وازدیان جدرانها بالأعلام الفلسطينية وصور الشهداء، وعلى راسهم

الرفيق الأمين العام أبو علي مصطفى، وصورا للرفيق أحمد سعدات، وترديد الجماهير الهتافات لفلسطين ونضالها الوطني للجبهة، وقد ألقى الرفيق كلمة فلسطين في تلك المهرجانات والتي نظمتها القوى السياسية والجماهيرية المغربية في الدار البيضاء بمناسبة يوم الأرض، وفي الجامعات، كلية العلوم بمنسيك ومدينة العرائش وطنجة وكلية الهندسة في الرباط ومدينة مراكش، وتخلل العديد من المهرجانات نشاطات فنية شارك فيها الفنانين أحمد السنوسي وثريا جبران وفاطمة الزهراء، وقد أكد شعبنا العربي في المغرب وقواه السياسية والجماهيرية تضامنهم ومساندتهم للنضال العادل للشعب الفلسطيني وإدانتهم لمواقف الصمت الرسمية العربية.

كذلك شارك الوفد في العديد من المسيرات التضامنية مع شعبنا عمت المدن المغربية، والتي أكدت عمق وأصالة الموقف الشعبي العربي من قضية فلسطين، وأقيم العديد من حفلات الاستقبال التي أقيمت على شرف الوفد.

هذا وقد غطت وسائل الإعلام المغربية أخبار الزيارة ونشاطاتها، وأجرى الرفيق على هامشها سلسلة من المقابلات الصحفية، وأدلى بالعديد من التصريحات شملت صحيفة المستقبل، والوكالة الوطنية للأنباء وصحيفة المغرب اليوم، وإذاعة المغرب، ومجلة التقرير المغربية.

كوبا تؤكد تضامنها مع شعب فلسطين

تلقت قيادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برقية مساندة وتضامن من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الكوبي، وندد الرفاق الكوبيون بجرائم الصهيونية في فلسطين ورياء ونفاق الإمبريالية العالمية الممثلة بالولايات المتحدة الأمريكية، وتقدم الرفاق بأخلص مشاعر التضامن مع الشعب الفلسطيني مؤكدين أن كوبا وشعبها بقيادة الحزب الشيوعي سيقفون دائما إلى جانب الحق الفلسطيني.

الجبهة تشارك في المؤتمر القومي العربي في المنامة

عقد المؤتمر القومي العربي في المنامة في الفترة من١-٤/٤/ ٢٠٠٢وحضر المؤتمر حوالي ٢٠٠ عضو يمثلون القوى والفعاليات القومية على مستوى الساحة العربية، بدعوة من «جمعية العمل الوطني الديمقراطي» في البحرين.

وشارك في المؤتمر القومي وفد من الجبهة الشعبية لتحرير

فلسطين برئاسة الرفيق أبو أحمد فؤاد عضو المكتب السياسي، والذي أكد في مداخلته في المؤتمر على:

- طبيعة المرحلة وضرورة أن يتخذ المؤتمر خطوات عملية جادة ونوعية وقرارات تلتزم بها كافة القوى المشاركة.
- تعبئة وتحريض الجماهير العربية لتتمكن من اتخاذ مواقف عملية إزاء المشاركة الأمريكية في العدوان على شعبنا، من خلال المظاهرات التي تندد بتلك السياسات، ومقاطعة البضائع والمصالح الأمريكية والضغط على الأنظمة العربية لقطع علاقاتها مع إسرائيل.
- تقديم كل أشكال الدعم لشعبنا الفلسطيني ومطالبة الأنظمة العربية بفتح الحدود واستمرار الضغط الشعبي لاستخدام سلاح النفط في المعركة.
- ضرورة التزام أجهزة الإعلام العربية المختلفة في برامجها بالانتفاضة والمقاومة الفلسطينية.
- فضح وتعرية سياسات الولايات المتحدة وبريطانيا من العراق وتعبئة كل طاقات الأمة للدفاع عن العراق ورفع الحصار الظالم عنه.

وقد صدر عن المؤتمر بيان باسم «إعلان المنامة» تحدث عن الاشتباك التاريخي مع الكيان الصهيوني وجرائم الكيان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني، والتي تقترف بدم بارد في ظل صمت دولي جبان، وحيا المؤتمرون استبسال الانتفاضة والمقاومة، وأكدوا على استعدادهم للمساهمة في معركة الشعب الفلسطيني الأسطورية، ضد العدوان الدموي، وحيا المؤتمر صمود العراق، والانتصار التاريخي للمقاومة اللبنانية، وحرصوا على تعزيز عقيدة المقاومة لدى الأمة في وجه العدوان والحصار، وضد تيار الاستسلام. وحيوا في بيانهم وقفة الشرف والعز لجماهير الأمة في العواصم والمدن العربية، لمشاركة شعب فلسطين في تصديه للعدوان الأمريكي، وأكدوا على المنطلقات الجوهرية التالية:

قضية فلسطين هي جوهر الصراع العربي الصهيوني والشعب الفلسطيني موحدافي مواجهة العدوان الصهيوني، ويمارس حقه المشروع في تحرير أرضه من رجس الاحتلال بكل الوسائل، وفي مقدمتها الكفاح المسلح، ونصرة شعب فلسطين ونضاله بالمال والسلاح فريضة سياسية قومية على الأمة جمعاء، دولا وشعوباً وأحزاب وحركات اجتماعية، فخيار الأمة هو خيار المقاومة والوحدة لاقتلاع هذا العدو السرطاني.

وطالب المؤتمر بدعم الانتفاضة والمقاومة بكل أشكال الدعم والإسناد وإلغاء كافة المعاهدات مع هذا العدو «كامب ديفيد ووادي عربة أوسلو وتوابعها» ووقف كل ما نجم عنه من اتفاقات سياسية واقتصادية وتجارية وسياسية ودبلوماسية وإقفال سفارات الكيان.

وبناء استراتيجية عربية على أساس اتفاقية الدفاع المشترك وتفعيل المقاطعة لإسرائيل، واتخاذ خطوات سياسية ودبلوماسية احتجاجية ضد سياسات أمريكا وممارساتها ضد الأمة وقضاياها، وإجلاء القواعد العسكرية، ورفض استخدام أرضنا للعدوان على العراق، وأن يقوم أساس العلاقات مع الغرب على قاعدة مواقفهما من قضايانا المركزية، فلسطين والعراق.

وحيا المؤتمر جماهير الأمة وطالبها بدعم الانتفاضة والمقاومة بكافة السبل، وتفعيل المناهضة للبضائع الأمريكية ولجان التطبيع، وترسيخ ثقافة المقاومة وتطوير دور الطبقة العاملة في مقاطعة السفن والطائرات الأمريكية، وتوحيد جهود تيارات الأمة الأساسية القومية والإسلامية والاشتراكية والليبرالية الوطنية.

مظاهرات شعبية عارمة تضامناً مع الشعب الفلسطيني وإدانة للمجازر الدموية الصهيونية

من مظاهرات دمشق

عمت كبرى المدن العالمية مظاهرات شعبية عارمة تضامناً مع الشعب الفلسطيني الذي يواجه مجازر دموية صهيونية أمريكية. فقد خرجت الجماهير الغفيرة في لندن وباريس ومدريد وبروكسيل وجاكارتا وإسلام آباد وطهران ووارسو وواشنطن، منددة بما ترتكبه القوات الإسرائيلية الفاشية العنصرية من جرائم بشعة قل نظيرها في تاريخ البشرية وقد استنكرت معظم الهيئات والمؤسسات الدولية المعنية بحقوق الإنسان كمنظمة العفو الدولية والعديد من دول العالم، تلك المجازر الدموية البشعة التي عبرت عن استهتار أمريكي إسرائيلي لأبسط قواعد القانون الدولي ومعاييره.

وقد هال الجماهير العربية وصدمتها المشاهد المأساوية التي تجري فوق الأرض الفلسطينية من ممارسات بشعة ولاإنسانية ولاأخلاقية وإرهابية ودموية بتصرف، والتي استهدفت تدمير الإنسان والحجر والبنى التحتية الفلسطينية والسلطة الفلسطينية والشعب الفلسطيني ومحاولة إبادته وارتكاب المزيد من المجازر بحقه بهدف كسر إرادته وثنيه عن مواصلة حقه الطبيعي في مواصلة نضاله المشروع من أجل حريته، وزاد من صدمة الجماهير الموقف الرسمي العربي الموغل في وهنه إلى حد الانكسار وارتباطاً برفض الشارع العربي لهذا الانكسار للإرادة الأمريكية الصهيونية. خرجت الجماهير العربية في كل مكان في الوطن العربي من مشرقه الى مغربه معبرة عن تضامنها مع الشعب الفلسطيني في محنته، واستعدادها لتقديم كل أنواع الدعم والمساندة لنضاله المشروع، ورفضها لكل الإملاءات والشروط الأمريكية الهادفة إلى تركيع الأمة، وهذا ما يفسر أن الجماهير عبرت عن إدانتها للمشاركة الأمريكية في هذا العدوان وضرورة أن تدفع ثمن مشاركتها للجزار شارون جرائمه، وقد تصدت أجهزة الأمن في العديد من الدول لهذه المظاهرات وحاولت قمعها، بحجة أنها خرجت عن أهدافها حين قامت بإعلاء صوتها وقياداتها بقطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل فوراً، ومقاطعة البضائع الأمريكية، واستخدام كل الأسلحة ضد من يحاول كسر إرادتنا وفرض شروطه علينا، فقد سقط الشهداء في العديد من المدن العربية، وقامت الأجهزة الأمنية باعتقال منظمي وناشطي تلك المسيرات الجماهيرية الغاضبة. لكن الشارع العربي ورغم بعض القيود التي فرضتها بعض الأنظمة العربية إلا أنها واصلت وبشكل يومي التعبير عن سخطها على هذا الواقع المزري من خلال المظاهرات والمسيرات الجماهيرية والاعتصامات أمام المقرات الدولية وإرسال البرقيات إلى الهيئات والمنظمات الدولية لأخذ دورها في حماية الشعب الفلسطيني وتطبيق المواثيق والمعاهدات الدولية. ومازالت كافة قطاعات شعوبنا العربية السياسية والجماهيرية والمهنية وفئاته تعبر عن دعمها لنضال شعبنا وتمارس ضغوطها على النظام الرسمي العربي لينهض بدوره، ويقوم بالحد الأدنى الممكن ويتحرك باتجاه اتخاذ خطوات سياسية ودبلوماسية واقتصادية قادرة على لجم هذه العدوانية المتوحشة الأمريكية الإسرائيلية والتي تستهدف النيل من الأمة من النظام الرسمي العربي بأكمله، وضرورة أن يغادر القادة العرب سياسة العجز والتردي ويستخدموا كل عناصر القوة لديهم لوقف هذا الازدراء الأمريكي بمواقفهم وسياساتهم.

سوريا:

منذ بدء العدوان الصهيوني تقوم جماهير شعبنا الفلسطينية والجماهير السورية بالخروج في تظاهرات الغضب والإدانة والاستنكار لجرائم اسرائيل، وتناشد العرب لاتخاذ مواقف عملية قادرة على مواجهة الهجمة الأمريكية الإسرائيلية الشرسة على الشعب الفلسطيني، كمقدمة لبسط هيمنتها على المنطقة العربية بأكملها. وقد عبرت الجماهير منذ اللحظة الأولى عن الرفض الشعبي لكل مظاهر الاستكانة والعجز العربي، ونادت بأعلى صوتها بضرورة الارتفاع لمستوى الحدث والدفاع عن الشرف والكرامة العربية التي تمتهن فوق الأرض الفلسطينية، ولا يكاد يخلو من المظاهرات الجماهيرية الصاخبة حي ولا قرية ولا مدينة ولا مخيم فلسطيني، وقد كانت المشاركة الجماهيرية واسعة في كل هذه الفعاليات الداعمة للانتفاضة وشاملة بحيث شارك فيها مختلف القطاعات والفئات الاجتماعية في هذا البلد العربي. فالفنانون والمثقفون واصلوا اعتصاماتهم أمام مقر الأمم المتحدة منذ اليوم الأول للعدوان

الدموي، وطلبة الجامعات والعمال والمنظمات النسائية، وجرى إبراق رسائل إلى الأمم المتحدة تستنكر العدوان والغطاء الأمريكي له، وعدم قيام الهيئات الدولية بواجباتها في حماية الشعب الفلسطيني، وكذلك أرسلت رسائل شكر للموقف البلجيكي المؤيد والداعم للقضية الفلسطينية، وعمت المدن السورية اعتصامات وإضرابات عن الطعام، وأرسلت رسائل وبرقيات إلى مؤتمر القمة من الأخ الدكتور محمد سعيد عكام تؤكد على ضرورة دعم نضال الشعب الفلسطيني، واتخاذ مواقف عملية عربية، وأرسل الطلبة الأجانب المعتصمين أمام مقر الاتحاد الأوروبي في دمشق مذكرات احتجاج إلى بلدانهم، وطالبوها باتخاذ موقف منسجم مع القانون الدولي، وضرورة إدانة المجازر المرتكبة بحق الشعب الفلسطيني، وأرسلت لجنة الدفاع عن الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين والسوريين مذكرة إلى الصليب الأحمر الدولي تطالبه بالتدخل لوقف الممارسات الوحشية واللاإنسانية التي ترتكب بحق شعبنا، وأرسلت رسائل إلى جمهورية مصر وقعها مئات المواطنين، تدعو مصر لاتخاذ إجراءات عملية ضد إسرائيل وإغلاق سفارة القتلة وأرض الكنانة.

وقامت العديد من اللجان الوطنية الفلسطينية والسورية بتلقي الدعم العيني والمادي لشعبنا كتعبير أصيل من شعبنا الفلسطيني والسوري لموجبات تقديم كل أشكال الدعم لأهلنا في الأراضي المحتلة.

لبنان:

عمت المظاهرات والمسيرات والاعتصامات الأراضي اللبنانية، وكانت بيروت مسرحاً لنشاطات متنوعة، شارك فيها كافة الفئات الاجتماعية والمهنية والسياسية اللبنانية والفلسطينية، وأبرقت الجماهير والمنظمات الجماهيرية والمهنية برقيات أرسلتها إلى المنظمات الدولية والإنسانية إلى ضرورة تصدي المجتمع الدولي وقيامه بمسؤولياته اتجاه الشعب الفلسطيني، وضرورة محاسبة القتلة والمجرمين والجزارين.

وقد أضحت مخيماتنا في لبنان بؤرة نشاط جماهيري وسياسي ونقابي يومي من خلال المظاهرات ومسيرات الاحتجاج والاعتصامات والندوات الجماهيرية ومذكرات الاحتجاج التي أبرقتها الجماهير والمنظمات النقابية والسياسية إلى الأمم المتحدة ومنظمة الصليب الأحمر الدولي ومنظمة العفو الدولية.

ودعوا الدول العربية إلى فتح حدودها لإيصال الإمدادات،

طلاب معهد المسرح في اعتصامهم المفتوح بدمشق

وقيام المقاومين بأخذ دورهم لنصرة الشعب الفلسطيني، وعمت النشاطات المتنوعة مخيمات شعبنا في الشمال، البداوي والبارد، حيث شارك في تلك النشاطات بالإضافة للقوى الوطنية الفلسطينية ممثلين عن القوى الوطنية اللبنانية مؤسسات المجتمع المدني، ففي القبيات تضامنت جماهير القبيات مع الانتفاضة بحضور النائب عبد الرحمن عبد الرحمن، ووجيه البعيريني وجمال اسماعيل وممثلي القوى الوطنية والإسلامية، وشاركت جماهيرنا في مخيمات بيروت وصيدا وصور وبعلبك في كافة النشاطات الداعمة للانتفاضة.

هذا وقد أصدرت مختلف القوى الوطنية الإسلامية بيانات تدين المشاركة الأمريكية في العدوان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني، وكذلك مختلف القوى الوطنية والتقدمية العربية، وأكدت تلك البيانات على إدانتها وشجبها للمجازر التي ترتكب على أرض فلسطين، على مرأى ومسمع البشرية، ودون أن يتمكن المجتمع الدولي بسبب مواقف الإدارة الأمريكية من إيقاف البربرية والفاشية الإرهاب الشاروني، ودعوا الدول العربية لاستخدام إمكانياتها لوقف هذا العدوان والانحياز الأمريكي السافر.

❖ قام وفد من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة الرفيق مروان الفاهوم عضو المكتب السياسي، بزيارة عمل وتعارف إلى الحوزة العلمية الزينبية والتقى بالسيد عارف نصر الله مسؤول العلاقات العامة. كما قام وفد من الجبهة برئاسة الرفيق مروان الفاهوم عضو المكتب السياسي بزيارة إلى محافظة السويداء واللقاء مع الأستاذ منصور الأطرش نجل الشهيد سلطان باشا الأطرش قائد الثورة السورية الكبرى، وعلى هامش اللقاء زار الوفد ضريح القائد الشهيد ووضع إكليلا من الزهر.

بغداد:

تلقت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برقية تعزية وتضامن من الرفيق الدكتور حارث الخشالي مدير مكتب العلاقات الخارجية في قيادة قطر العراق لحزب البعث العربي الاشتراكي باستشهاد الرفيق القائد ربحي حداد عضو اللجنة المركزية للجبهة.

ودعماً للانتفاضة الباسلة وتضامناً مع شعب فلسطين نظمت مسيرة جماهيرية حاشدة في حي البلديات الفلسطيني في بغداد يوم ٢٠٠٢/٣/٣١ وألقيت كلمات عدة منها كلمة التنظيم الفلسطيني لحزب البعث العربي الاشتراكي، ألقاها الرفيق حسن طالب، وكلمة م.ت.ف. ألقاها الرفيق عز الدين محمد ممثل الجبهة في العراق.

من جهة أخرى أقيمت يوم ٢٠٠٢/٤/٣ مسيرة جماهيرية فلسطينية - عربية كبيرة توجهت إلى مقر الأمم المتحدة للتنمية الإنمائية، وسلمت مذكرة احتجاج على الجرائم المرتكبة بحق أبناء شعبنا الفلسطيني الصامد في الأرض المحتلة.

ويدعوة من الاتحاد العام لطلبة فلسطين - وحدة البصرة - أقيمت يوم ٢٠٠٢/٤/١١ ندوة سياسية تحدث فيها الرفيق عز الدين محمد ممثل الجبهة في العراق بحضور عدد كبير من طلبة فلسطين والعرب الدارسين في البصرة، وتركز الحديث حول الأوضاع الراهنة في الأرض المحتلة.

ويدعوة من نادي حيفا الرياضي الفلسطيني أقيمت مسيرة شموع للأطفال مساء ٢٠٠٢/٤/١٦ شارك فيها مئات الأطفال من أبناء

اجتمعوا من أجل فلسطين

الجبهة الشعبية تدين محاكمة المناضلين وقبول الاقتراح الأمريكي

محاكمة الرفاق

فلسطين وهم يرفعون الأعلام الفلسطينية.

أقدمت السلطة الفلسطينية يوم ٢٠٠٢/٤/٢٥ على محاكمة المناضلين الأربعة أعضاء الجهاز العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الذين نفذوا حكم الإعدام بالمجرم الصهيوني رحبعام زئيفي وزير السياحة السابق والرفاق الأبطال هم حمدي القرعان، وباسل الأسمر ومجدي الريماوي وعاهد أبو غلمة.

وكان الرئيس ياسر عرفات قد أصدر أمراً بتشكيل محكمة ميدانية في مقره المحاصر حيث يحتجز الرفاق الأربعة ومعهم الرفيق القائد أحمد سعدات الأمين العام للجبهة الشعبية.

الرفاق الأبطال: عاهد أبو غلمة وباسل الأسمر وحمدي القرعان

وتأتي هذه المحاكمة المرفوضة سياسياً ووطنياً وأخلاقياً استجابة للابتزاز والضغوط الصهيونية والأمريكية على قيادة السلطة بوهم رفع الحصار عن الرئيس عرفات.

وقد رفضت الجبهة الشعبية من حيث المبدأ هذه المحاكمة معتبرة أنها تعد محاكمة لمجمل الكفاح المشروع الذي يخوضه شعبنا، وأنها تعطي المبرر للعدو لارتكاب المزيد من الجرائم تحت حجة مكافحة الإرهاب، من دون أن يحاسب على جرائمه ومجازره التي ارتكبها بحق شعبنا.

ووصف الرفيق عبد الرحيم ملوح نائب الأمين العام المحاكمة بأنها مهزلة وأنها مخجلة ومرفوضة وأنه كان أولى بالسلطة المطالبة بمحاكمة المجرمين الذين اغتالوا الشهيد القائد أبا علي مصطفى، وأكد الرفيق جميل مجدلاوي عضو المكتب السياسي للجبهة، أن الجبهة لن تنجر إلى الفخ الذي يعده العدو لإيقاع الفتنة في الصف الوطني وأنها ستتصدى لإجراءات السلطة بالاحتجاج السلمي والنضال الديمقراطي.

وقد نددت القوى الوطنية والإسلامية بالمحاكمة واعتبرتها غير شرعية وكانت حركة المقاومة الإسلامية حماس أصدرت تصريحاً صحفياً رفضت فيه المحاكمة مؤكدة حق شعبنا وقواه في الدفاع عن نفسه ومقاومة الاحتلال.

وقد أصدرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين البيان التالي:

يا جماهير شعبنا الفلسطيني العظيم

أيها المقاومون البواسل.

لقد أقدمت قيادة السلطة هذا اليوم على ارتكاب خطيئة كبرى بحق الشعب الفلسطيني والمقاومة وبحق المناضلين الذين يدافعون عن كرامة هذا الشعب وكرامة قادته ومناضليه، ويناضلون من أجل تحقيق أهدافنا الوطنية.

فقد أقدمت السلطة على المحاكمة العسكرية للأبطال الذين قاموا بتصفية المجرم رحبعام زئيفي أحد أبرز رموز الإرهاب والفاشية والعنصرية الصهيونية، وأحد أعضاء الهيئة التي اتخذت القرار باغتيال الرفيق الشهيد أبو علي مصطفى الأمين العام للجبهة.

إن هذه المحكمة العسكرية وما صدر عنها من أحكام، لهي محكمة مرفوضة ومدانة وطنياً وأخلاقياً، وفي رمزيتها محاكمة لكل المناضلين الأبطال من أبناء شعبنا الأبي الصامد الصابر على كل هذا الظلم. وهي تعطي غطاء لكل الابتزاز والضغط الإسرائيلي على قيادة السلطة وعلى شعبنا بأسره.

وبالرغم من كل المجازر الصهيونية، والحصار المفروض على شعبنا وعلى الرئيس أبو عمار شخصياً فإن قيادة السلطة لم تستوعب الدروس من كل هذا العدوان وكل هذه التضحيات. لقد حذرنا منذ البداية السلطة من سياسة الرضوخ والاستجابة للإملاءات الإسرائيلية، وقلنا للرئيس أبو عمار أن اعتقال الرفاق لن يحتوي التهديد الإسرائيلي ولن يجنب شعبنا العدوان والحصار المفروض عليه، ولم ينتصح الرئيس أبو عمار، وتحول اعتقال الرفاق وغيرهم من المناضلين سواء في مقر الرئيس أو في مقر الأمن الوقائي في رام الله إلى عناوين جديدة للضغط والابتزاز.

إن إصدار الأحكام على المناضلين الأبطال يوجه طعنة كبرى إلى الوحدة الوطنية الفلسطينية وسيكون بالتأكيد له العديد من التداعيات السلبية على مجمل العلاقات الوطنية الفلسطينية، وهو يأتي في سياق استعداد قيادة السلطة للتراجع الدائم أمام الشروط والإملاءات الإسرائيلية وبما يؤشر على سياسات قادمة تتكيف وتستجيب للحلول الأمريكية والإسرائيلية للصراع مع العدو الصهيوني وهو ما ندعو كل شعبنا بكل قواه الوطنية والإسلامية للتنبه إلى أخطاره الكارثية على شعبنا وعلى قضيتنا الوطنية.

برغم هذه الجريمة، فسنظل في الجبهة في خندق المقاومة ضد العدو، وستظل بنادق رفاقنا موجهة إلى العدو الصهيوني وفي نفس الوقت سنظل نناضل مع كل الوطنيين والشرفاء من أبناء شعبنا ضد سياسات السلطة الخاطئة والضارة على الصعيدين الوطني والمجتمعي.

كل التحية لكم أيها المقاومين البواسل

وستظلون في حدقات العيون رغم محاكمهم وأحكامهم العسكرية

شكر

- تتقدم مجلة الهدف بجزيل الشكر للمواطن العربي السعودي بهجت النسيم لتبرعه بمبلغ ٢٤٠٠ ريال سعودي دعماً لصمود الشعب الفلسطيني المحاصر.

- وتتقدم أيضا بالشكر للسيدين محمد ومنصف الشريف في ألمانيا لتبرعهما بمبلغ ٨٠٠ يورو لدعم لجان العمل الصحي.

المبادرة السعودية
خلفيات وأهداف

عارف سليمان

بينما كانت الأراضي الفلسطينية تتعرض لأبشع عمليات الاقتحام والقصف والتدمير والاغتيال والمطاردة للمناضلين، وبينما يسقط المئات من الشهداء بنيران العدوان الصهيوني، وبينما يخوض غمار حرب، مروضة عليه يدفع فيها بكل غالٍ ونفيس، وفي الوقت الذي تصرخ فيه الأم الفلسطينية يومياً وعلى مرأى العالم أجمع «واعرياه..!!» ويموت الطفل الفلسطيني، ويذبح الشيخ الفلسطيني، وتمارس على الإنسان الفلسطيني كافة أشكال الممارسات النازية من قبل القوات الصهيونية، وفي الوقت الذي يلف المنطقة العربية بأسرها صمت مريب يشي بقرب المجهول.. تنقل الصحافة العالمية ما كتبه الصحافي الأمريكي المعروف توماس فريدمان في جريدة «نيوزويك» أن ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز كان ينوي إلقاء خطاب في القمة العربية المنتظرة يحمل مبادرة سياسية.. اقتراحاً يتضمن بانسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة بما فيها القدس تطبيقاً لقرارات الأمم المتحدة مقابل علاقات عربية طبيعية كاملة معها..

وحينها رأى المراقبون أن موقف ولي العهد السعودي يرمي إلى إنقاذ الفلسطينيين الذي يتعرضون لأبشع أنواع القمع، كما يرمي إلى حث الولايات المتحدة على التحرك من أجل السلام العادل والشامل..!

ثمة ضرورة وأهمية كبيرة للوقوف أمام هذه المبادرة وتفحصها من حيث مقدماتها وزمانها وجوهرها، وهدفها.. وإمكانية تنفيذها، ومدى قدرتها على إنقاذ الفلسطينيين.. غير أن هذا الفحص من شأنه أن يبرز أسئلة كثيرة وكبيرة ومحيرة، تحتاج إلى قدر أكبر من التحليل والمقاربة بين الأحداث والمواقف التاريخية والحالية..

في أي سياق، وفي أي مناخ إقليمي ودولي أطلقت المبادرة..؟؟ يمكن وصف المبادرة السعودية بأنها بنت الأحداث الإقليمية والدولية.. وهي نتاجاً لها ومتفاعلة معها.. بل هي وليدة عواصف تجتاح المنطقة والعالم..

أولاً: منذ ٢٨ أيلول عام ٢٠٠٠ وانتفاضة فلسطين تتصاعد وترتقي في مواجهتها للاحتلال الصهيوني وتنثر رذاذها على مساحة الوطن العربي الكبير والعالم.. ولم تستطع الآلة العسكرية الصهيونية المتفوقة أن تجهض الانتفاضة.. وكما هي عبء على العدو الصهيوني منذ عام ونصف.. فهي عبء على الأنظمة العربية لتزايد تأثيرها على الشارع العربي الشعبي، الذي يبدي تململاً بين وقت وآخر قد يشي بانفجارات داخل البلدان العربية لا تتمناه ولا ترغبه الأنظمة العربية العاجزة عن تقديم العون المادي الكافي للانتفاضة، ولا الدعم السياسي والمعنوي الذي يستجيب لمستوى تطلعات الانتفاضة. ولعل قياس الرأي العام الشعبي عبر وسائل الإعلام المختلفة طيلة عمر الانتفاضة من مواقف الأنظمة العربية والحكام العرب وقرارات القمم العربية ذات المستوى الهابط، يدلل إلى أي حد صغرت هذه الأنظمة العربية في الوعي الشعبي وعلى مستوى النخب السياسية والثقافية والاجتماعية. وما من شك أن الأنظمة العربية تعرف هذه الحقيقة.. وتدرك مدى تأثير الانتفاضة المتواصلة على وعي المواطن العربي، ومدى قدرتها على تشكيل وعي قومي يتجاوز حدود الأحداث في فلسطين.. حيث قدمت للمواطن العربي نماذج ومآثر من التضحية والمواجهة والصمود والصبر تحت أقسى الظروف والعدوان الصهيوني ما لا يمكن تصوره..

الأمر الذي يجعل هذه الأنظمة في حالة من الإرباك السياسي وفاقدة القدرة على التأثير في الأحداث، إن لجهة لجم العدوان الإسرائيلي أو لجهة وقف الانتفاضة، مما يدفعها إلى الرغبة في إيجاد الوسيلة السياسية الملائمة لوقف تداعيات الأحداث في فلسطين، والعودة إلى طاولة المفاوضات السياسية، عبر تقديم المبادرات السياسية التي من شأنها أن تضع حداً لتطور الأحداث ووقف الانتفاضة.

ثانياً: لقد شكلت أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ في أمريكا، وما أحدثته من تداعيات أميركية ودولية وعربية، مفصل جديد.. بل مرحلة جديدة من عصر الهيمنة والعولمة وقهر الشعوب المغلوبة.. حيث استغلت الولايات المتحدة الأمريكية أحداث ١١ أيلول، وراحت تخوض حروباً متعددة الأوجه تحت يافطة «محاربة الإرهاب» منها الحرب العسكرية، والحرب السياسية، والحرب الإعلامية والنفسية، وأخذت تنشر الرعب والخوف والتهديد والوعيد في كل أرجاء العالم، متذرعة بأن أمنها يتعرض لمخاطر الإرهاب، بيد أن أهم أشكال الحرب التي تخوضها أميركا كانت الحرب الإعلامية النفسية التي يقودها الإعلام الأمريكي المتخصص، والساسة الأمريكيين عبر بث آلاف التهم وسيناريوهات الإرهاب وعلاقات الدول والأفراد به، ومنابع وأصول الإرهاب الوطنية والدينية والثقافية، وعبر التهديد المبطن والمعلن أحياناً، والطلب من بعض الحكومات العمل على تعديل مناهج التعليم ومناهج التربية والثقافة بحجة أن هذه المناهج تغذي الإرهاب.

ولم تسلم المملكة السعودية من الإعلام الأمريكي، ولا من الانتقادات المبطنة أحياناً، والاتهامات المختلفة حول علاقة رعاياها في أكثر من مكان بالإرهاب الدولي وانتماء أفراد من «القاعدة» إلى الجنسية السعودية.. الأمر الذي جعل المملكة السعودية هدفاً أميركياً لممارسة أكبر قدر من الضغط السياسي والإعلامي بهدف تقديم أكبر قدر من التنازلات العربية فيما يسمى «ممارسة الإرهاب» إلى الحد الذي وضع العرب عموماً، والسعودية بشكل خاص في حالة دفاع عن النفس كما لو أنهم متهمون أو مسؤولون عن أحداث ١١ أيلول في أمريكا، وتشكلت حالة عربية رسمية تتسابق في نفي التهمة وتنأى بنفسها عن صفات الإرهاب أو ممارسته أو دعمه.

ولما كانت الانتفاضة وفصائل العمل الوطني والإسلامي في فلسطين وأذرعها العسكرية، هي قوى إرهابية في التوصيف الأميركي، فإن دعمها والدفاع عنها أو حتى الحياد منها يعتبر عملاً إرهابياً.. الأمر الذي يضع مجدداً هذه الأنظمة تحت وفي دائرة الابتزاز الأميركي، في محاولة لدفعها إلى وقف تداعيات وتأثيرات الانتفاضة على المستوى المحلي والعربي والإسلامي..

ضمن هذا السياق.. الانتفاضة ومفاعيلها، وأحداث ١١ أيلول وتشابكاتها، كانت مبادرة الأمير عبد الله.. فهل كانت المبادرة مناسبة في توقيتها، أو أن توقيتها كان صدفة..؟؟

ما من شك أن توقيت المبادرة ليس صدفة، ما دمنا وصلنا إلى يقين أن المبادرة بنت الأحداث المتفاعلة، وليست نتاج النزاع السياسي.. حيث أطلقت المبادرة أولاً في لحظات توهج الانتفاضة الفلسطينية وعلو وتيرتها، وتزايد العمليات الاستشهادية من جهة.. ومن جهة أخرى تصاعد العنف الإسرائيلي وعمليات التدمير والقتل وزيادة الشهداء، ومن جهة ثالثة.. ارتفاع الصوت الفلسطيني الرسمي والشعبي الذي يطالب بدعم الانتفاضة على كل الصعد.

وثالثاً: أطلقت قبل شهر ونصف من موعد انعقاد القمة العربية في بيروت، وهنا يمكن الاستنتاج من هذا التوقيت أنه يهدف إلى تحقيق عدة أغراض:

١ - إشعار الفلسطينيين بأن الحل السياسي هو الحل الممكن في هذا الوقت، وأن ارتفاع منسوب الانتفاضة لن يؤدي إلى شيء.. وأن الانتفاضة يجب أن يكون لها سقف سياسي..

٢ - يجب العمل على تكوين رأي عام عربي رسمي حول المبادرة، وقياس ردود الفعل العربية والدولية والمحلية، بغرض تبنيها عربياً ودولياً قبل طرحها على مؤتمر القمة، كي لا تصبح مادة خلاف وتفضي إلى فشلها أو وأدها في مهدها..

ويمكن القول أن هذا الهدف قد تحقق حيث استطاعت المبادرة أن تجد مناخاً عربياً ملائماً لها في مؤتمر القمة الذي عقد في بيروت.. مما جعل العرب يتبنوها كتوجه عربي..

من هنا فإن توقيت المبادرة ليس تعبيراً عن هدفها السياسي، ولا عن جوهرها وسياقها العام، بل هو جزء منها. حيث جاء التوقيت كرسالة قاسية إلى الشعب الفلسطيني في ذروة مقاومته، مضمونها «إن العرب لن يكونوا معكم أيها الفلسطينيون» و«أن خيار العرب ليس هو خياركم».

وإذا ما دققنا في جوهر ومضمون المبادرة بدرجة أكبر من التأمل والتفحص لوجدنا أن المبادرة مرت بمرحلتين: مرحلة الفكرة العامة، التي تؤسس لمناخ سياسي عربي رسمي، مهمته قياس الرأي العام من المبادرة.. ومرحلة إخراج الفكرة بعد أن نضجت ضمن المناخ المستولد إلى النص المتداول اليوم، وهي الصيغة السياسية المتبناة من قبل مؤتمر قمة بيروت.

هذا النص ضرب الفكرة العامة، وحدد أفكار سياسية لا تخلو من التنازلات المجانية، والهروب من الواقع الفلسطيني إلى أبعد المواقع..

أولاً: فقد حدد النظام العربي الرسمي بأن السلام هو الخيار الاستراتيجي بالنسبة للعرب..! وهنا يضع الزعماء العرب مرة أخرى أنفسهم في مسرب ما يسمى بالسلام، دون أن يحددوا أي خيار آخر في حال فشل السلام..

كما يؤكدون في فقرة لاحقة عن قناعتهم بأن الحل العسكري للنزاع لم يحقق السلام أو الأمن لأي من الأطراف..؟ هذا التأكيد يجيء على مستوى القمة ويجيء في ظل الحرب الشرسة من قبل إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني، ويجيء قبل يوم واحد من اجتياح القوت الصهيونية لمدن الضفة الغربية.

ثانياً: كما يطالب مؤتمر القمة، إسرائيل بالتوصل إلى حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين يتفق عليه وفقاً لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة (١٩٤)..!!

والتمعن في النص يشير بوضوح ولأول مرة، وبشكل رسمي جماعي، إلى إمكانية تجاوز بل طلاق حق العودة للاجئين الفلسطينيين، حينما استخدمت عبارة التوصل إلى حل عادل متفق عليه.. أي أن عودة اللاجئين يمكن أن تخضع للتفاوض والوصول إلى صيغة بشأنها، تمثل حلاً مقبولاً أو عادلاً..! وهذا مس واضح بحق فلسطين، مازال الشعب الفلسطيني بكل تجمعاته يعتبره لب القضية الفلسطينية.

وثالثاً: مرة أخرى يلزم الزعماء العرب أنفسهم باعتبار أن النزاع منتهياً، والدخول في اتفاق سلام مع إسرائيل وتحقيق الأمن للجميع..

وهنا تنجلي الرغبة للحكام العرب في إنهاء الصراع مع إسرائيل.. عبر استخدام كلمة نزاع بدل كلمة صراع.. واستخدام هذه الكلمة في ظل الحرب القائمة ضد الشعب الفلسطيني، كما لو أن ما يدور داخل الأراضي المحتلة الفلسطينية لا يعدو نزاعاً على قطعة أرض تخضع للتحكيم..

ورابعاً: يشير نص المبادرة إلى «إنشاء علاقات طبيعية مع إسرائيل في إطار السلام الشامل، وما من شك أن أهم ما تريد أن تقوله المبادرة أن الأنظمة العربية تعلن مجتمعة عن استعدادها للاعتراف بإسرائيل، والتطبيع معها على مستوى الأمة العربية. أي أن الاعتراف بإسرائيل والتطبيع معها لم يعد قراراً سيادياً لكل دولة على حدة، إنما أضحى قراراً عربياً على مستوى الأمة.. وهنا تكمن خطورة هذا النص، الذي يفتح الأبواب العربية مجتمعة إلى العصر الإسرائيلي، تحت وهم السلام.. أو غطاء السلام..

وخامساً: أشار النص إلى ضمان رفض كل أشكال التوطين الفلسطيني الذي يتنافى والوضع الخاص في البلدان العربية المضيفة..؟! ويتبدى من هذه الصيغة أن هناك إمكانية للتوطين إذا لم يتنافى مع الوضع الخاص في البلدان العربية المضيفة، بالرغم من أن المقصود من هذه الصيغة إرضاء لبنان الذي يرفض التوطين الفلسطيني على أرضه في ضوء المعادلة اللبنانية.

بالمحصلة إن العرب مجمعون عبر قمتهم على طلاق كامل ومسبق لأي خيار، ما عدا ما سمي بخيار السلام الاستراتيجي.. ومجمعون على طلاق حق العودة، ومجمعون على قبول التوطين، ومجمعون على إنهاء النزاع، وإقامة العلاقات والتطبيع مع إسرائيل.. هذا الإجماع على هذه الخيارات لا يقابله أي ضوء أخضر من قبل إسرائيل لمطالبهم التي لم تتجاوز إلا صيغة الانسحاب من أراضي ١٩٦٧ وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة عليها..

وقد جاء الرد الإسرائيلي دون تأخير على هذه المبادرة باجتياح مناطق السلطة الفلسطينية ومدنها وقراها، وفعل القتل والتدمير والمجازر..

يبقى السؤال مفتوحاً على أكثر من صيغة.. لماذا تتصدر السعودية في كل منعطف فلسطيني مسؤولية إلقاء المبادرات السياسية..!! فقد أطلق الأمير فهد في عام ١٩٨١ مبادرة سياسية لحل الصراع العربي الإسرائيلي، وقد أخذ بها في مؤتمر فاس ١٩٨٢ على أثر خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان.

وها هي اليوم تتصدر مرة أخرى طرح مبادرة سياسية، وفي ظل الانتفاضة الفلسطينية والحرب الصهيونية عليها، ويأخذ بها مؤتمر قمة بيروت.

لماذا هذا الدور السياسي للسعودية في المراحل الحرجة للنضال الوطني الفلسطيني؟..

لا يمكن تفسير هذا التصدر من قبل السعودية إلا في سياق الضغط الذي تتعرض له أميركيا باتجاه أن تلعب دوراً إقليمياً ومحورياً في المنطقة، ويصل هذا الضغط بعد حرب الخليج الثانية وتواجد القوات الأمريكية في المملكة السعودية إلى حد الإملاء وفرض المطالب، وقد تزايدت هذه الضغوط بعد أحداث ١١ أيلول / ٢٠٠١ واتهام بعض الأفراد السعوديين في هذه الأحداث.. وقد وصلت هذه الضغوط إلى حد التأثير في مسار الأوضاع الداخلية للمملكة السعودية، والتدخل في شؤون الأسرة الحاكمة.

هذه الضغوط دفعت القيادة السعودية باللجوء إلى استخدام ورقة القضية الفلسطينية، والانتفاضة، كعربون صداقة وحسن نية تجاه أمريكا، وتحسين صورتها أمام العالم، وأنها دولة داعية سلام وتعايش مع الأمم.. وهنا تكون السعودية قد بدأت في استخدام الورقة الفلسطينية التي تحتفظ بها إلى الوقت المناسب.. وهذا ما يعكس انقلاباً في التفكير

السياسي السعودي باتجاه الرؤية السعودية لملف الصراع العربي الإسرائيلي بمجمله، وهي رؤية بدأت تتماهى مع رؤى عديدة للأنظمة العربية..

ما هي إمكانية تطبيق هذه المبادرة.. وما هو خطها في النجاح؟!

لعل الإشكالية الأهم التي لازال الزعماء العرب لا يدركون طبيعتها.. هي إشكالية الرؤية الإسرائيلية للصراع.. وكيفية حله، وشروط حله، ورغم وجود أكثر من أربعة عشر مبادرة لحل الصراع.. فإن الرؤية الإسرائيلية لحل الصراع لم تتطابق حتى الآن مع هذه المبادرات.. بل مع نقاط معها، دون مضمونها أو جوهرها.

وما قاله الناطق باسم الخارجية الأمريكية «ريتشارد باوتشر» عن المبادرة، يعكس ما تريده أمريكا من هذه المبادرة وما تريده إسرائيل.. حيث قال: «إذا كانت المملكة السعودية مستعدة أن تمد يدها إلى إسرائيل للحديث عن السلام والتطبيع للعلاقات، فهذه خطوة إيجابية وذات مغزى» وحين سئل عن الجزء الخاص بالانسحاب الإسرائيلي من المبادرة أجاب: «ليس لدي في هذا الوقت شيء آخر أقوله عن أمور محددة، لقد سائدنا دوماً فكرة التفاوض في إطار القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ ومفهوم الأرض مقابل السلام، وأن المسائل المحددة قابلة للتفاوض بين الأطراف المعنية».

أي أن أمريكا تريد من المبادرة فقط الفقرة الخاصة بالسلام والتطبيع مع إسرائيل، وبعد ذلك يمكن التفاوض على كل شيء، إذ قال كولن باول وزير الخارجية الأميركي: «إن مبادرة الأمير عبد الله يمكن أن تشكل بداية لحل النزاع!!».

وفي هذا السياق على العرب أن يقدموا الشروط الإسرائيلية والأمريكية أولاً، وهو الاستعداد ليس لإنهاء الصراع فحسب، إنما إقامة علاقات سلام وتطبيع وقبول إسرائيل كدولة معترف بها في الواقع العربي.. وبعدها يصار إلى البحث في المطالب العربية..

من هنا تكون المبادرة السعودية أدت دورها المرسوم لها، وهو تمييع وإضعاف التردد والتمنع في الموقف العربي تجاه التطبيع مع إسرائيل، قبل انسحابها من الأراضي المحتلة.. وإلزام السعودية بأن تكون القاطرة العربية والإسلامية التي تدعو وتشجع وتشرع لدول عربية وإسلامية أخرى بالتطبيع مع إسرائيل.

ولكن يظل الصمود الفلسطيني وما مثله مخيم جنين.. وفداحة الخسائر الفلسطينية وفظاعة ونازية الاحتلال الصهيوني في مواجهة الشعب الفلسطيني جميعها، أحداث وضعت منذ البداية علامات استفهام كبيرة وعديدة على مبادرة الأمير عبد الله وعلى تبني الزعماء العرب لها..

جدار الصوت

حوار مفتوح

دعا سيد القوم، الشيوخ والمخاتير ووجهاء العشائر كعادته لوليمة دسمة، تم فيها تبادل الآراء وسماع أخبار العشائر في جلسة علنية مفتوحة.

رحب بهم قائلاً: أهلاً وسهلاً، يامرحبا وياهلا.. حيّا الله اللحى الغائمة.

أخذ الجميع أماكنهم وقد أحاطت بهم المساند الوثيرة، ودارت القهوة العربية حسب العرف والعادة، ومكانة كل واحد فيهم، فجميع المشاكل مهما عظمت وتعقدت تجد حلها على فنجان القهوة وبوسة لحية.

قدمت المناسف مليئة بالرز الأمريكي يعلوها اللحم البلدي ويتزاحم عليها البقدونس واللوز، ويتربع في وسط كل منسف رأس خروف، يتدلى لسانه، الذي هو فقط من حق المختار وأولوياته في الأكل.

أكل الجميع أكثر من حاجتهم «كالعادة» وبدأوا يتجشأون من التخمة، من ثم تقدم حواس بيده اليسرى صحن واليمنى إبريق ماء ساخن وعلى كتفه بشكير، كي لا يكلفهم عناء القيام وغسل آثار ما ارتكبته أيديهم وأفواههم الشرهة، التي تدلت منها بعض حبات الرز عالقة بلحاهم وشاهدة على فعلتهم.

ردد الجميع الواحد تلو الآخر، خلف الله عليك يا شيخ، الله يقدرك على المعروف وفعل الخير.

صاح الشيخ ضبعان: وايش العلوم يا صياح؟!

صياح: الله يمسيكم بالخير يا وجوه الخير.

في فنزويلا، الجيش انقلب على الرئيس شافيز، لكن الناس تظاهروا ورجعوه، وخالتكم الشيخة كوندليزا زعلت من الناس.

حواس: «هامسا» الله يحيّ الناس ويخزي كوندليزا.

ضبعان: طيب الناسب بتقدر على زعل الشيخة.

صياح: النيجر قطعت علاقاتها مع إسرائيل.. صاح الحضور وضبعان.. طيب شو القصة، إيش إلي حصل..

صياح: علشان الهوشة إلي بين شارون وعرفات واللي حصل في رام الله وجنين ونابلس.

ضبعان: آه والله ذكرتنا.. الله يقدرنا ونشوف الباشا بوش، والله يهديه ويسمع ويفكها بمعرفته.

صياح: الرئيس صدام حسين طلب من الدول العربية تخفيض إنتاجها من النفط إلى النصف، وقطعه عن أميركا لموقفها المعادي للفلسطينيين والعرب، وصرف ٢٥ ألف دولار لكل أسرة شهيد.

حواس: عفيه يابطل.. الله يكثر من أمثالك وتظللك شوكة في حلق الأميركان.

ضبعان: لا حول ولا قوة إلا بالله، يا إخوان إحنا قد أميركا.. هو إحنا إذا ما بعنا النفط كيف بدنا نصرف ونسافر.. يا عمي أبو عدي ما هو خايف من حدا، كيف الله عاطيه قوة هالقلب..

صياح: الرئيس أبو عمار عقد محكمة عسكرية داخل سجنه في رام الله وحكم على الشباب اللي عدموا زئيفي.

حواس: عجيبة مسجون ويحاكم ويسجن؟!

ضبعان: الله يبيض وجهه، لكن إن شاء الله يرضى شارون، وبوش، ويتركوه بحاله. علي الطلاق لازم يتفق العرب ويقولوا للشيخ بوش داخلين علىٰ الله وعليك، وسوي اللي تشوفوا، وإحنا عن طوعك مش طالعين.

حواس: الله لا يوفقك يا شيخ ضبعان، ويقصف عمرك، ويوريني فيك يوم، إنت وكل هالحثالة والسقط.

أبو صابر

الأبعاد الأخلاقية للهجمة الصهيونية على الأماكن المقدسة

الأب الياس زحلاوي

أبحق تسألني عن الأبعاد الأخلاقية للهجمة الصهيونية على الأماكن المقدسة؟

ومتى كان للصهيونية بعد أخلاقي ما؟ وهل هناك ما هو قديس في نظرها؟

هل لك أن تقول لي متى كان لدى مؤسسي الصهيونية، ومنظريها ومنفذيها، في مختلف مراحلها، أي بعد أخلاقي؟

أو متى تكشفت الصهيونية، إن في فكرها أو خططها أو أفعالها أو واقعها الميداني أو تطلعاتها، القريبة والبعيدة المدى، عن أي بعد أخلاقي؟

بل دعني أقول لك:

إن كانت اليهودية، وهي الحاضنة الأصلية للصهيونية، قد جعلت من الله نفسه - جلت قداسته - كائناً دموياً، عنصرياً، قبلياً، فكيف يكون للصهيونية ما هو قديس أو أخلاقي؟

ولئن كان دستور إسرائيل بالذات - وكل دستور مرآة لجوهر الدولة وأساسها، روحاً وفكراً وسياسة وتطلعاً - ينظر إلى كل إنسان غير يهودي، على أنه حيوان ليس إلا.. فمن أين للصهيونية التي أوجدتها، أي اهتمام بما هو أخلاقي أو قدسي؟

ثم أوليست الصهيونية أيضاً، وليدة استعمار غربي لم يقم يوماً في جميع سياساته، في الشرق والغرب، وفي الشمال والجنوب، أي وزن لما هو أخلاقي أو قدسي؟

وإن كان الشعب اليهودي عانى ما عانى من الغرب، وفي الغرب وحده، مدة ألف وخمسمائة عام، فهل ما يمنعه اليوم - وقد أطبق بكلتي يديه على خناق أقوى وأغنى دولة في العالم - من أن يطبق على الشعب الفلسطيني الآن - ومن ثم على شعوب عربية أخرى لاحقاً - ما سبق للغرب أن فعله بدم بارد وتصميم جهنمي، إذ بنى مجتمعاته كلها ودوله كلها، على أشلاء الشعوب وأنقاض حضاراتها؟

وتسألني عن الأبعاد الأخلاقية للهجمة الصهيونية على الأماكن المقدسة؟

القديس، في نظري، بعد الله - جل جلاله - هو الإنسان!

ومن لا يقيم وزناً لإنسان - مطلق إنسان - لا يمكنه أن يقيم أي وزن لأي شيء آخر، مهما بدا عظيماً.

وقد تتساءل:

لم لم يحرك الغرب - الذي يظنه العرب خطأ، مسيحياً - ساكناً إزاء ما حدث ويحدث حول كنيسة مهد السيد المسيح، فيما هو قام وأقام الدنيا معه، يوم أراد حكم الطالبان في أفغانستان، أن يحطم تمثالاً لبوذا؟

لك أن تتساءل.. ولي أن أتساءل:

أما آن لنا نحن العرب أن نتعلم؟

أما آن لنا أن نتقن اللعبة أو نحاول إتقانها، لنكون من جهة، أخلاقيين مع أنفسنا ومع شعوبنا وقضايانا، ولنكون من جهة ثانية، أذكياء في مواجهة هذا العدو الذي بلغ، على قلة عدده، من الدهاء ما بوأه أقوى المراكز في أقوى الدول، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية؟

فليس لنا من عذر في ما بلغناه من ضعف وعجز وذل - يتفاقم مرحلة تلو أخرى، فيما نحن، في كل منها، نظننا بلغنا الدرك! جعلنا بحق لا أخلاقيين في تعاملنا مع واجباتنا وحقوقنا ووجودنا وكرامتنا ومصيرنا على السواء، على الرغم من كل ما لدينا من طاقات هائلة، بشرياً وعلمياً وعسكرياً ومالياً..

وإن كان للعدو الصهيوني ما يبرر لاأخلاقيته - الأساسية والمعلنة والعملية - في سياساته كلها، فما الذي يبرر لنا نحن العرب، لاأخلاقيتنا المطلقة هذه، في تعاملنا مع العدو الصهيوني ومع ذواتنا.. في ذكرى مجزرة قانا.

يا أخي في الجرح العميق
أتسألني عن ألمي؟
وهل يُسأل عن الألم الذبيح؟؟

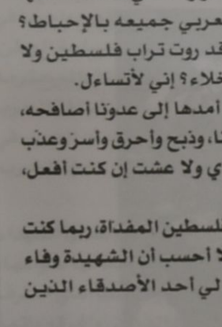

مددت يدي إلى وجهي ببطء أتلمسه، أسأل نفسي أفي يقظة أنا؟ أم أنني في حلم مريع؟

همجية بآلات الموت الأمريكية على أنواعها تداهم أهلي وناسي العزل على حين غرة. في وطنهم، في أرضهم، في بيوتهم، فتقتل وتحرق وتعذب وترهب وتأسر وتجوّع، كيفما تشاء، وبلا حساب. لا تستثني طفلاً ولا شيخاً ولا رجال دين، تهدم البيوت على رؤوس أصحابها، لا تستثني الأماكن المقدسة، تهدم وتهدم دون أن تتوقف حتى تصبح الديار خراباً.

أولئك هم الصهاينة القتلة المجرمون، وأنا أعرف فعالهم منذ اغتصبوا الجليل من بلادنا عام ثمانية وأربعين.

ومع كل هذا ظل شعبنا شامخاً لم ينحن ولن. فمن استشهد، استشهد أبياً، ومن بقي، بقي صلباً صامداً. وإني لأشعر بالفخر والاعتزاز لانتمائي لهذا الشعب العظيم الذي أصبح محط أنظار العالم أجمع.

ولا أزال أذكر تلك المرأة التي خرجت تصرخ وقد استشهد أبناؤها جميعهم، تصرخ قائلة: أين أنتم يا عرب؟ أين أنتم؟ حقاً لقد هم الشعب العربي لنصرة أشقائهم، ولكنها لاشك كانت تقصد القادة، حقاً أين هم، أتراهم اكتفوا بتلك القرارات التي تمخضت عنها القمة، فأصابت شعبنا العربي جميعه بالإحباط؟ أسلام وتطبيع!! ودماؤنا قد روت تراب فلسطين ولا تزال. ويلي، أعرب هم أم دخلاء؟ إني لأتساءل.

آلا فلتشل يدي إن كنت أمدها إلى عدونا أصافحه، عدو قتل من قتل من شعبنا، وذبح وأحرق وأسر وعذب وشوه وشرد، فما عاشت يدي ولا عشت إن كنت أفعل، وقد قلت يوماً:

لو أنني كنت هناك في فلسطين المفداة، ربما كنت أستطيع أن أفعل شيئاً. ولا أحسب أن الشهيدة وفاء بأشد شجاعة مني، فقال لي أحد الأصدقاء الذين سمعوا قولي:

وهل تقدرين على ذلك وأنت في مثل هذا السن؟

فأجبته:

لا يغرنك مني أن عجوز قد أحنت الأيام ظهرها، فبين جنبيّ قلب متأجج ثائر لم يعبث به الدهر.

هدى حنا

٢٠٠٢/٤/٢١

سبب السبب في ربيع الدم الفلسطيني

د. حسين أبو النمل

الربيع مضمخ بالدم الفلسطيني، والفلسطيني يحتل كامل المساحة بدمه. الشوارع مليئة باليافطات، والأعلام المرفوعة في بعض المظاهرات تكاد تكون أكثر من المتظاهرين. الأعلام بكل الألوان، إلا اللون الأسود، مع أن الحزن والعار كان يجب أن يكون طاغياً في كل مكان.

الخبر، متقادم بسرعة الرصاص الذي يصنع الحدث ووميض البرق الذي ينقل الخبر. الدم في كل مكان، وكذلك الربيع والغضب.. الحزن والعار. طبعاً، وفي كل مكان متطفلي التلفزيونات التي استبدلت مراسليها ومذيعيها بضيوفها في موسم الدم الفلسطيني بالربيع. كان الفلسطيني جميلاً، أما القبيح فهو، وفضلاً عن شارون كان ذلك المتطفل التلفزيوني.

كان الزمن ربيعاً.. خرجت الأرض بكل ما فيها من ألوان وأطياف، وأخرج المجتمع كل ما فيه من خزين، كان السمين حاضراً وكذلك الغث، الذي أقبح من فيه كان ذلك المتطفل التلفزيوني المشغول بعدد اللقطات التي حصلها، وأقبح ما في قبحه، أنه عرض فضيحته علناً، ولم يفعل شيئاً سوى، قصداً وعمداً، قيامه بتضييع السؤال.

كان الزمن ربيعا.. الدم في كل مكان وكذلك المتطفل التلفزيوني، الذي كان قبيحاً وهو ينتهز الدم، لكنه والحق يقال، أسهم بخدمة ثمينة حين قدم شهادة عارية وجواباً متأخراً عن فضيحة قديمة وسؤال مزمن، حول: بعض سبب هزائمنا ومصدر عارنا؟

كان الربيع في مكان، وكذلك الدم الفلسطيني الذي كان يرسم كامل اللوحة. كان ربيع الدم بامتياز، لأن الدم الفلسطيني في الربيع كان أبلغ شهادة وفي فعله أصدق قول، ولم يكن بحاجة لمن يعلمه ما يعلمه علم اليقين وبشهادة الدم: أن شارون قاتل.

معذرة! إننا نعرف أن شارون قاتل وأن المشروع الصهيوني استئصالي. نعرف أنه من دير ياسين إلى قانا ومن صبرا وشاتيلا إلى جنين: القاتل واحد والجزار واحد. ولكن معذرة، إن كنا نعرف أيضاً، أنه من دير ياسين إلى قانا ومن صبرا وشاتيلا إلى جنين.. ولا ننسى بحر البقر وبناية عكر وحمامات تونس وفردان، كان القتيل واحداً أيضاً. لم نكن بحاجة لربيع الدم الفلسطيني ٢٠٠٢، تمييزاً له عن غير ربيع وصيف وخريف وشتاء دموي آخر، وبتاريخ سابق، ونرجو أن لا يصير لاحقاً، كي نعرف أن العدو واحد والقاتل واحد.

ربما، احتجنا للتكرار من أجل الاستذكار، مع أننا «درسنا» الدرس لنصف قرن أو يزيد، ورغم أن مثل «التكرار يعلم الحمار» لا ينطبق علينا، لأننا، وبشهادات ميلادنا الموقعة من كل أولي الأمر فينا مصنفون بشراً وليس حميراً، وخير دليل كل تلك المؤسسات الداعية لحفظ حقوق الإنسان والمؤسسات، وما أكثرها، المماسسة لهتك الإنسان نفسه ليس حقوقه فقط!

إما إذا كان هنالك من يرى بنا حميراً، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه. حمير، ربما، ولكن ليس لدرجة عدم ملاحظة أن القتيل واحد أيضاً كما القاتل واحد أيضاً. فوق هذا وذاك، أننا بشر ولسنا حميراً وبحيث نعرف أن شارون قاتل والمشروع الصهيوني استئصالي.

ثمة نقطة ضعف أولى قاتلة في الأطروحة السابقة والنافية عنا صفة الحمير، ألا وهي مقدار المنطق في أن نكون بشراً ونركب حميراً على ظهورنا، هذا إن لم تكن لديهم أرجل أو سيارات، وليس أن يمتطي الحمير ظهر البشر. ربما صارت المشكلة في كيف لنا أن نعرف الفرق بين الاثنين، لأنه، في زمن انهيار سلم القيم، لم تعد توجد وسائل لقياس درجة المعرفة.

هنالك نقطة ضعف ثانية قاتلة في الأطروحة السابقة هي أن التكرار لم يعلمنا، فمن ذا الذي لا يعلمه التكرار غير الحمار! أرجو أن لا أكون من حيث لا أدري قد قدمت خدمة كبيرة لمنطق المعادين لحقوق الإنسان، الذين يمكن لهم الاستناد لما تقدم والقول: ما الداعي لحقوق إنسان إذا كان الإنسان نفسه غير موجود أصلاً؟!

.. وقد يحتدم جدل حول: من نحن؟ وقد قام غير دليل متوازن على الشيء ونقيضه. جدل إن احتدم فسيبقى متوازناً، لأن الإنسان ذاكرة فردية وجمعية تصير وعياً، أما وقد وقع التكرار فذلك يعني أننا دون ذاكرة وهو ما يفقدنا صفة الإنسانية التي قد يستعيدها لنا محام شاطر يرمي في وجه كل مدع بعدم إنسانيتنا أمثولة أن الإنسان سمي إنسانا لأن طبعه النسيان.

.. ربما، ولكن ليس لدرجة أن ينسى أنه القتيل من دير ياسين إلى قانا، ومن صبرا وشاتيلا إلى جنين، من ١٩٨٢ إلى ٢٠٠٢.. وقبلهما ١٩٦٧ و١٩٤٨، إلا إذا كان هنالك من نسي أن للبداية بداية وللسؤال سؤال وللسبب سبب، والتاريخ لم يبدأ في جنين ولا البارحة.

كان الغائب دائماً سؤال: لماذا كنا دائماً في موقع القتيل، وعلى مدار تاريخ الصراع لم نجمع بين النصر والشهادة بدل تلك المعادلة التي أدمناها: النصر أو الشهادة؟ ألا يستحق دمنا نصرا، أو على الأقل سؤالا: لماذا نحن على ما نحن عليه منذ.. إلى منذ.. والتواريخ كثيرة بحيث لن يتعب من يبحث عن ملء فراغات التواريخ؟

هل صحيح أن الدم لم يسأل؟ لقد صدق محمود درويش وكذب في آن معاً حين أهدى منذ ربع قرن، كتابه «وداعاً أيها السلام، قائلاً: إلى الدماء التي ذهبت دون أن تسأل عما تفعله بعطاياها العظيمة. صدق محمود درويش لأن نبل العطاء، صاحباً وموضعاً، منعه من الاشتراط.

كذب محمود درويش، لو افترض أن شرط العطاء لم يكن قائماً وهو أن يصنع من الدم نصراً أو على الأقل سؤالاً، إن وقعت هزيمة. أما أن لا نكون أمام مجد نصر أو سؤال الهزيمة، فذلك احتمال لا أظن أنه خطر على بال صاحب العطاء من دير ياسين إلى صبر وشاتيلا، ومن صبرا وشاتيلا إلى جنين.

في دير ياسين كانت التفاصيل فظيعة. في صبرا وشاتيلا كانت التفاصيل أكثر فظاعة. في جنين صارت فوق قدرة العقل على التصور، والذنب هنا ذنب العقل الذي عرف كل ما عرف وقال ما قال عن المشروع الاستئصالي، وعلى ما يبدو، لم يكن يعني ما يقول، وإلا لما استهجن تحول القول بالاستئصال فعلاً استئصالياً.

مثل هذا العقل البذيء الذي أدمن فصل القول عن الفعل، قد ارتكب جريمة إضافية حين أسقط ذاته على المشروع الصهيوني، فتوهم أنه مثله، يفصل القول عن الفعل، ولا يعني ما يقول. لكن الاستئصالي عنى ما قاله فكان ما

كان. فما الذي كان وأين كان؟

في ٢٠٠٢ لم تكن مجزرة في جنين فحسب، بل وقعت حرب على كامل الأرض الفلسطينية المحتلة ١٩٦٧ أيضاً، حرب لم تستهدف البشر، بل الحجر أيضاً. في ١٩٨٢، لم تقع مجزرة صبرا وشاتيلا، بل حرب حقيقية وفعلية، استئصالية وشاملة. في جنين وصبرا وشاتيلا، كان الحدث فظيعاً في جملته وتفاصيله الكافية لتأخذ ما أخذته من مساحة.

أخطر ما في الفظيع هذا وأفظع منه هو أن تنسينا مجزرة جنين حقيقة أنها، وعلى فظاعتها الاستئصالية، ليست إلا تفصيلاً للحرب / المجزرة نفسها، الاستئصالية والشاملة. في ٢٠٠٢ و١٩٨٢ وكل تاريخ آخر. الخطورة في ذلك، أن تنسينا المجزرة، الحرب التي وقعت، وأن يصير الحديث عن وقائع المجزرة بديلاً عن الحرب، والهدف السياسي للحرب الذي هو المشروع السياسي الوطني الفلسطيني.

أفظع ما في الفظيع هو أن يستغل حتى دم جنين، فعلاً مباشراً ومعنى رمزياً، على نحو ابتساري، فتضيع السياسة وهدف الحرب في الممارسات التي شهدتها الحرب نفسها ويطغى التفصيل على الأساس. ذهنية ابتسارية، واحدة، اختصرت حرب المشروع الصهيوني لمجازر، واختصرت الحرب والمجازر وإسرائيل نفسها إلى فرد، هو شارون الذي حاصرنا وحصرنا في سؤال المجزرة، بحيث ضاع أو كاد، سؤال الحرب والهدف السياسي لها، وحافز قتال جنين وخلافها التي لم تشترك بالحرب دفاعاً عن نفسها، بل عن مشروع سياسي كامل.

في جنين كانت امرأة تبحث عن جسد عزيز عليها تحت الأنقاض، لم يكن لديها وقت ولا بال أو قابلية تلفزيونية. كانت تقوم بواجبها في البحث، فلماذا غاب على مدى مساحة الوطن، خلق وواجب تلك المرأة الباحثة والمحترمة وغير الزائفة، فنبحث في وعن أسئلة الحرب المؤجلة منذ أول مجزرة، وندرك أن الضرب في جنين ونابلس وكل مكان، ولكن هدف الضرب، هو في رام الله حيث السياسة؟

نبحث في الحرب، التي ورغم عطايا الشهداء العظيمة كانت وفي آن، هزيمة، لها سؤالها، يجعلها أبدية من يضيعه، وهو ذلك الذي احترف اللعب بجدول أعمالنا الذهني وأغرقه دائماً بالتافه والتفصيل والثانوي، ليس لأنه تافه وتفصيلي وثانوي، بل لأنه يدرك معنى الذهاب نحو القيم والإجمالي والرئيسي وراء هذه الحكاية وكل حكاية مشابهة، ودوره في وضع الإصبع على الجذر ■

الحرب الإسرائيلية على الفلسطينيين

قوة الدم وغرور السلاح وضعفه

سمير الزين

كشفت حكومة شارون في حربها على الشعب الفلسطيني المدعومة من الولايات المتحدة، أن لها هدف سياسي واضح، على عكس ما قدر البعض، أن هذه الحكومة لا تملك مثل هذا البرنامج السياسي. وقد يكون هذا التحليل صحيحا. بمعنى أن السياسة المعلنة للحكومة الإسرائيلية لا تعبر بالضبط عن الأهداف الحقيقة التي تسعى إليها حكومة شارون، أما شارون فهو يسعى من خلال استخدام المزيد من الترسانة العسكرية الإسرائيلية إلى تركيع الشعب الفلسطيني وإلغاء وتدمير مشروعه الوطني. وأهدافه واضحة وضوح الشمس منذ انتخابه لرئاسة الحكومة الإسرائيلية، فمنذ ذلك الوقت يدير شارون سياسة منهجية تقوم على هدم كل العملية السياسية التي قامت منذ مدريد إلى انفجار الانتفاضة الفلسطينية، على اعتبار ما جرى خلال هذه العملية يشكل خطراً داهماً على إسرائيل ويهدد المشروع الصهيوني من أساسه. ولأنه لم يكن يستطيع إعلان هذه السياسة التدميرية في اللحظة التي وصل بها إلى كرسي رئاسة الحكومة، فإنه أدار عملية طويلة المدى تتدحرج باتجاه إعادة المنطقة إلى نقطة الصفر، بالقضاء على كل المكاسب التي حققها الفلسطينيون من خلال اتفاقات أوسلو رغم كل التحفظات والملاحظات التي يمكن تسجيلها على هذه الاتفاقات، التي مضى زمانها على كل حال. وبالتالي يعيد المنطقة إلى اللحظة التي يستطيع فيها فرض وقائع جديدة على الأرض وتدمر أي اتفاقات يمكن أن تشكل خطراً على إسرائيل من وجهة نظره بعد تجربة العقد الأخير.

أدار شارون عملية التدمير المنظم للأراضي الفلسطينية تحت مطالب إسرائيل بـ «السلام». ولكن السلام الذي يطلبه شارون من الفلسطينيين هو أن تقوم السلطة الفلسطينية بإطلاق النار على الفلسطينيين بأوامر إسرائيلية، أي أن تعيد إنتاج صورة مسخ عن تجربة أنطون لحد في الجنوب اللبناني، وهو التعديل الذي سعى إليه من خلال تعديلات تفاهم تينيت، من خلال اختصار المهمة الأمنية للسلطة الفلسطينية بحماية أمن إسرائيل وتلقي أوامرها من الحكومة الإسرائيلية. وأمام هذا الخيار الذي حاول شارون فرضه على الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، لم يكن أمام الأخير سوى الخيار الوحيد الذي يقول: إذا أرادت إسرائيل إطلاق النار على الفلسطينيين ليقم بهذا الدور جيش الاحتلال، فلن تجد إسرائيل يد فلسطينية تطلق النار على الفلسطينيين لمقاومتهم الاحتلال.

بناء على هذا الموقف الفلسطيني قررت الحكومة الإسرائيلية عزل الرئيس الفلسطيني واعتباره عدوا، ولكن هذه المرة ليس بمحاصرة مقره من الخارج، ولكن بمحاصرته بغرفتين داخل مقره. ولم يكن شارون يدرك أنه كلما ضيق الخناق العسكري على الرئيس الفلسطيني، كان يدخل نفسه في المأزق الذي لا خروج منه، وكان الرئيس الفلسطيني يخرج من عزلته ويحقق شعبية فلسطينية وعربية وحتى دولية غير مسبوقة، وأصبحت الغرفة المظلمة الموجود فيها الرئيس الفلسطيني، أرحب وأوسع من

خيال شارون.

وبهذه السياسة التي تركز على الرئيس الفلسطيني، والتي تريد أن تفهم الرئيس الفلسطيني أن مصيره بيد إسرائيل، باتت إسرائيل أعجز من التعامل معه وأعجز من أن تحدد مصيره كما كانت ترغب. فخيار الإبعاد ليس ممكنا، ليس بفضل ضغط حزب العمل في الحكومة الإسرائيلية، ولا بفضل الضغوط الدولية، بل بفضل تقديرات الاستخبارات الإسرائيلية، التي اعتبرت إبعاد الرئيس الفلسطيني يشكل خطراً أكبر على إسرائيل، من بقاءه في الحصار. كما أن الرئيس الشهيد، سيشكل خطراً أكبر على إسرائيل من الوضع القائم، وأصبحت كل خيارات إسرائيل بشأن التعامل مع الرئيس الفلسطيني تدخلها في مأزق، فهي ليست قادرة على إبقائه في عزلته ولا قادرة على استبداله ولا قادرة على قتله، لأن استمرار هذه العزلة لفترة طويلة يزيد من حرج الموقف الإسرائيلي، الذي لن تستطيع الإدارة الأميركية حمايته لفترة طويلة، رغم السياسات الأميركية البالغة الوقاحة تجاه الحرب الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني. وهي كذلك لا تستطيع قتله أو إبعاده، لأن ذلك يشكل خطراً أكبر على إسرائيل، وبذلك تكون كل خيارات التعامل الإسرائيلي مع الرئيس الفلسطيني مريرة.

وعلى أهمية مصير الرئيس الفلسطيني بما يشكله من ثقل في الساحة الفلسطينية، من رمزية مكانته ودوره التاريخي وقدرته على الإمساك بالساحة الفلسطينية. فإن إدارة الصراع من قبل إسرائيل على أساس أن المشكلة تتلخص في الرئيس الفلسطيني، هي محاولة للتغطية بشكل غير ناجح على أساس الصراع مع الشعب الفلسطيني، والذي يتلخص بزوال الاحتلال الإسرائيلي وكل سياسة تدار على أساس آخر وتحاول تجاهل هذا الأساس مصيرها الفشل، سواء أكانت سياسة إسرائيلية أو أميركية. لقد دمرت إسرائيل المدن الفلسطينية والمخيمات وكل البنية التحتية الفلسطينية ومقرات السلطة الفلسطينية، اعتقاداً منها أن هذا التدمير يدمر الإرادة الفلسطينية ويخلق عند الفلسطينيين قابلية للاحتلال الإسرائيلي ومتطلباته. لقد قال الفلسطينيون كلمتهم في بيت لحم ونابلس وجنين وغيرها من المدن الفلسطينية، أن لا تعايش مع الاحتلال. لقد فقد الاحتلال هيبته، واستخدام مزيد من القوة العسكرية لا يرد لهذا الاحتلال هيبته، وأصبح الفلسطينيون أكثر يقيناً من زوال الاحتلال أكثر من أي وقت مضى رغم شلال الدم الفلسطيني النازف، أو بفضله.

فشارون الذي طالما عارض الاتفاقات الإسرائيلية مع الفلسطينيين سعى منذ وصوله إلى السلطة في إسرائيل إلى إدارة السياسة الإسرائيلية على أساس تدمير كل ما تم بناءه في الأراضي الفلسطينية، للعودة إلى نقطة الصفر التي يعتقد أنها تخدم سياسة إسرائيل. ومن هنا تصاعدت المطالب والشروط الإسرائيلية منذ وصول شارون إلى السلطة، والتي انتهت إلى مطالب شارون باستبدال القيادة الفلسطينية واختياره هو للقيادة الفلسطينية التي تتوافق مع سياسته، وهي سياسة لا تستفيد حتى من التجارب الإسرائيلية ذاتها في خلق قيادات عملية لم تنجح إسرائيل في فرضها خلال تاريخها.

الحرب الوحشية التي تقوم بها الحكومة الإسرائيلية، تهدف حسب ما أعلنت الحكومة الإسرائيلية إلى القضاء «على البنية التحتية للإرهاب الفلسطيني» وإرسال رسالة واضحة للفلسطينيين «أنهم لن يحصلوا على شيء من الأعمال الإرهابية». والحقيقة أن ما تهدف إليه الحكومة الإسرائيلية من وراء هذه الحرب هو كسر الإرادة الفلسطينية، وفرض الشروط الإسرائيلية عبر جنازير الدبابات الإسرائيلية، بعد عجزها عن فرضها في الأطر السياسية. ولأن إسرائيل عجزت عن أخذ اعتراف من الفلسطينيين بشرعية الاحتلال، فهي سعت بحربها إلى الاحتلال الفعلي للأرض الفلسطينية التي تقول إسرائيل أنه سيبقى لوقت طويل إذا لم تستجب القيادة الفلسطينية للشروط الإسرائيلية. والحرب الإسرائيلية المجنونة على الأراضي الفلسطينية تعكس المأزق السياسي الإسرائيلي في التعامل مع الوضع السياسي القائم في الأراضي الفلسطينية. وحجم المجازر والدمار الذي وزعه الجيش الإسرائيلي في كل المناطق الفلسطينية يعكس أيضا هذا المأزق أكثر مما يعكس قوة الجيش الإسرائيلي، التي وقفت عاجزة أمام مخيم جنين الذي لم تستطع دخوله إلا بعد هدمه وتحويله إلى ركام، وانتهاء ذخيرة المقاتلين، ولاستعصاء المخيم في وجه القوات الإسرائيلية، قامت قوات الجيش الإسرائيلي بارتكاب جرائم الحرب في المخيم من قتل ودمار وتجريف، وهو ما يحتاج إلى الوقت من أجل كشف حجم الجريمة الوحشية التي ارتكبتها قوات الاحتلال في مخيم جنين.

قد تكون الحرب الدموية التي تديرها إسرائيل في الأراضي الفلسطينية، الطلقة الأخيرة في الجعبة الإسرائيلية في مواجهة الشعب الفلسطيني لمنعه من صناعة مستقبله. فالانتقال من التوغلات إلى الحرب الشاملة، وترك الجيش الإسرائيلي يسفك الدم الفلسطيني تحت عنوان «مكافحة الإرهاب» لا تنطلي على أحد، وجرائم الحرب التي ترتكبها إسرائيل في كل مدينة وقرية فلسطينية ما هي سوى مؤشر على المأزق الإسرائيلي الذي تحاول تجاوزه بضجيج السلاح وبالمزيد من الدم الفلسطيني. فليس هناك من جيش مهما بلغت قوته العسكرية قادر على هزيمة شعب، والشعوب لا يمكن أن تكون أهداف صالحة في ميدان الجيوش، إلا لارتكاب الجرائم ضد الإنسانية، وهو ما تشهده الأراضي الفلسطينية.

قد لا يدرك أرئيل شارون أن المجازر التي ترتكبها قوات الاحتلال الإسرائيلي في المدن الفلسطينية لن تحل مشكلة إسرائيل مع الفلسطينيين، ولكنه سيدرك ذلك وقت الحساب. فحرب شارون الدموية، تستطيع أن تقدم أو تؤخر بعض الوقت، ولكن جوهر الصراع سيبقى قائماً على الأرض الفلسطينية بين المحتل وشعب يقاوم الاحتلال، والقضية هي رحيل الاحتلال. إن هذا الأساس للصراع هو الذي يجب أن يبقى أمام نظر من يقوم بتحليل الوضع الدموي القائم في الأراضي الفلسطينية، بعيداً عن ضجيج السلاح الإسرائيلي، وبعيداً عن النواح العربي. وبكل عقل بارد يمكن القول أن الصمود الفلسطيني، وحتى البقاء الفلسطيني وحده على الأرض الفلسطينية يكفي لهزيمة السياسة الشارونية. وهذا لا يعني أن ما يجري في الأرض الفلسطينية لا يشكل خطرا داهما على الوضع الفلسطيني وعلى إجمالي المنطقة. ولكن في هذه الظروف الحالكة نحتاج أن نرى مكامن القوة أكثر من أي وقت مضى، تلك وحدها القادرة على إفشال سياسات حكومة شارون.

وهذا اليقين الفلسطيني ليس بفعل القدرة على المواجهة العسكرية مع الجيش الإسرائيلي، فهذه القدرة للمواجهة تكاد تكون معدومة بميزان القوى العسكرية، ولكن لأنها معركة الخلاص من الاحتلال، فإن القدرات المعدومة للفلسطينيين هزت إسرائيل من خلال الصمود الأسطوري. كما أن الاحتلال لا يمكن أن يعيش زمنا طويلا بعد أن أسقط الفلسطينيون حاجز الخوف من الاحتلال الذي فقد هيبته، وفي ظل السقوط الأخلاقي لدولة إسرائيل، فإن هذا هو زمن العد العكسي للاحتلال.

سيسفك الاحتلال الإسرائيلي المزيد من الدماء الفلسطينية، ولكن هذا السفك للدماء لن يطيل من عمر الاحتلال، بل هو ما يعجل برحيله.

أمريكا والعرب

ميشيل كيلو

منذ نهاية مؤتمر كامب ديفيد الثاني في أيلول من عام ٢٠٠٠، ثم نشوب انتفاضة فلسطين، وأميركا تعامل المنطقة العربية كمنطقة ساقطة استراتيجياً، مقيدة الخيارات تكتيكياً، لا حول لحكوماتها ولا قوة، فهي غير قادرة على مقاومة أي نوع من أنواع الاستهانة بها، ولا تخيف أحداً، فلا موجب لاحترام قادتها، ولا مبرر لفرض قيود على حركة إسرائيل ضدها، ولا لزوم لإبداء أي قدر من المراعاة تجاه قضاياها عامة، والفلسطينية منها خاصة.

النظام العربي ساقط استراتيجياً، فلا سبب للاهتمام به، أو لمعاملته بأي قدر من المراعاة. هذا ما يؤكده سلوك أمريكا خلال العام ونصف العام المنصرمين من عمر الانتفاضة، ويزيده مرور الأيام بروزاً ووضوحاً. يبدو اقتناع أمريكا بسقوط العرب استراتيجياً في موقفها من الإرهاب، الذي لم يترك نظاماً عربياً إلا وخصه بكمية ضخمة من التهديد والوعيد.

بدءاً بالنظام السعودي، الذي سيكون عليه تغيير برامج التعليم الديني في مدارسه، وقبول مراقبين أميركيين في وزارة التربية والتعليم، يقومون باختيار آيات ملائمة للتدريس، ويحددون تفاسير مناسبة لها، ويجب أن يرضخ لأنماط من التواصل الاجتماعي يقررها مستشارون أميركيون، يتكفلون بتحديد ماهية البر والإحسان وأشكاله وأساليب ممارسته وحدوده.

وصولاً إلى نظام مبارك في مصر، الذي تقول قوائم وزارة الدفاع الأميركية أن لديه أهداف يمكن أن تتعرض للقصف الجوي، من ضمن ١٦٨ هدفاً تنتشر في ٢٨ بلداً من العالمين العربي والإسلامي.

فالنظام اليمني، الذي سيطاله القصف بدوره، رغم أنه وضع تدريب ضباط الأمن اليمني بين أيدي ضباط أميركيين، سيتولون من الآن فصاعداً تحديد جزء كبير من السياسة الداخلية اليمنية، باسم مكافحة الإرهاب، وهي في نظرهم شأن دولي متعدي الحدود، تقرر أمريكا طبيعته، بالطريقة التي تحلو لها، دون العودة إلى «حلفائها وشركائها» في النظام العربي، بعد إذ احترقت أوراقهم في هجمات الحادي عشر من أيلول، التي أظهرت حجم الهوة بينهم وبين مجتمعاتهم، وكم تحمل من مخاطر على أمريكا، وكم صاروا قيادات برانية بالنسبة إلى شعوبهم، يختلفون عنها في مشاعرهم وخياراتهم ومواقفهم وتصرفاتهم، وبينت كم غدت عاجزة عن تقييد عداء مواطنيها لأمريكا أو الحد منه، وعن مراقبة مجتمعاتها والسيطرة عليها وحتى إخافتها، وكم هي خطيرة بالنسبة إلى أمريكا والغرب، الآثار التي يمكن أن تترتب على تراجع النظام العربي، وكم يسقط عجزه، حق قياداته في أن تعامل كقيادات مستقلة، تسوس دولا مستقلة، من غير الجائز التدخل في شؤونها!.

مع ضربتي نيويورك وواشنطن، سقط برجا التجارة العالميان، وسقطت معهما مرحلة عربية كاملة، أيدتها أمريكا كي تحتوي وتردع شعوب الأمة العربية، وتمنعها من ممارسة تأثير فاعل في الأحداث، المحلية والإقليمية والدولية، مرحلة قامت على دعم أقليات حاكمة، سياسية وعسكرية وحزبية وطائفية ومصلحية.. إلخ، وعلى تمكينها من شل الأغلبيات المحكومة وإخراجها من الشأن العام. مع الحادي عشر من أيلول، بدا واضحاً أن هناك أقلية جديدة نجحت في تنظيم نفسها خارج أية رقابة، وأن خيط تطورها أفلت من يد الأقليات العربية الحاكمة، التي كانت قد تولت بنجاح طوال نيف وثلاثين عاماً كبت مجتمعاتها وتحطيم قدرتها على المبادرة والحركة، وقوضت ترابطها ووجودها الخاص. لذلك، رأت أمريكا نفسها مضطرة إلى التدخل المباشر في بلدانها، ريثما تقرر ما إذا كانت ستعيد تأهيلها، أم ستستبدلها، أم ستغير شروط سيطرتها على شعوبها، أم ستتخلى عنها وتأتي ببديل يمثل حساسيات سياسية مختلفة، تشكل بمجموعها إطاراً مختلفاً للسياسة، في إطار توليفة جديدة تؤسس لسلطة جديدة، مثلما فعلت في أفغانستان، ويقال إنها ستفعل في العراق وبلدان عربية أخرى.

بعد الحادي عشر من أيلول الفائت، صار الأمر العربي القائم انتقالياً أو مرشحاً للتغيير، فلا أقل من أن تفكك أمريكا روابطها معه، وتبدي برمتها به، وتتنصل منه وتسدد إليه الركلات والصفعات، كما تفعل اليوم بمناسبة الحرب الإسرائيلية ضد شعب فلسطين وقيادته الوطنية، حيث تخص حكام العرب بازدراء مميز، وتعاملهم كخدم تم الاستغناء عن خدماتهم، فلا داعي لإبداء أي حرص على مشاعرهم، أو أية مراعاة لمكانتهم، ولا بد من إهانتهم على مرأى ومشهد من مواطنيهم، الذين يحملون أصلاً كماً هائلاً من مشاعر الاحتقار تجاههم، ويحجمون عن الدفاع عنهم، تطبيقاً لمثل عربي يقول: جلد كلب بناب ديب!.

يقيناً إن أمريكا محقة فيما تفعله، ومحقة في بحثها عن بدائل لقادة نظام، لعبت الدور الأكبر في فبركته وحمايته، في كل مكان من أرض العرب، تستطيع أن تفعل ما تريده ضده، وهو الذي كان قد حفر قبره بيديه، حين سمح لها بنشر جيوشها في قلب الوطن العربي وحوله، ومكنها من اختراق دوله ومجتمعاته دون أي استثناء، وقاتل معاركها في العراق، وعزز تحالفها مع إسرائيل بتحالفات فرعية، شملت دولاً ومنظمات وأحزاب وطوائف وأفرادا من مختلف الألوان، وأسهم في إسقاط أمته وتشتيتها وشحن علاقاتها الداخلية والقومية بالخلافات والتناقضات، وأفقرها إلى قوة جاذبة تلتف حولها، وكثر فيها القوى النابذة، التي شرعت تخترق مراكزها لحساب أطرافها وتمزق قلبها الجغرافي في فلسطين، والسياسي في مصر وسوريا، والعراق والسعودية، الذي فقد دوره ضد إسرائيل ففقد ما فيه من عوامل توحيدية وتجميعية. أمن العجب أن هذا الوضع أسقط شمال الوطن العربي بالحرب، التي شنتها دول عربية مع أمريكا ضد العراق، وأسقط جنوبه بالحروب الأهلية، بينما وسطه، مركزه البشري والسياسي، ساقط بضعف سلطاته وكلاموليوجية دوله، وبخلافات مكوناته وتناقض سياساتها ومصالحها، أو بارتباطه بعلاقات مع جهات أجنبية ومعادية يعطيها الأولوية على التزاماته القومية والوطنية، أو بالتطويق المفروض عليه من دول مجاورة متعاونة مع الصهاينة، تشكل العمود الفقري المحلي لمحور دولي مركزه أمريكا، تنتشر دوائره داخل منطقتنا وخارجها على شكل أقواس كونية الأبعاد، تلعب واشنطن دور الوسيط الكيميائي بين دولها متوسطة وكبيرة الحجم والقوة وبين إسرائيل. بينما شمال أفريقيا مفكك، يخاف حكامه شعوبهم ويخشون أن يكون مصير بلدانهم كمصير الجزائر، لذا تجدهم يبحثون عن عون أجنبي يطمئنهم، يوازنون به علاقاتهم المضطربة مع

مجتمعاتهم، أو يفرون من مشكلاتهم إلى مجاهل أفريقيا، حيث يتوارون عن العالم، متوهمين أنهم يؤسسون جديداً، بينما هم في الحقيقة يخرجون من السياسة، بالطريقة التي يريدها لهم أعداؤهم. أما في الشرق، فالخليج يغلي، بعد أن ضاق رداؤه السياسي، التقليدي والعائلي، عن جسد شعبه في السعودية، نتيجة تزايد التكوين الاجتماعي تراتباً وحداثة، بفضل التعليم والبرجزة التي أحدثتها عائدات النفط، وضيق فئات مجتمعية حديثة عديدة بالإهاب التنظيمي المتخلف لنظام أسري، لطالما حاول رشوة شعبه، وإسكاته بحشو فمه بشيء من فوائض أموال النفط، حتى طفح الكيل بالقوم، وأخذوا يرفضون منذ حرب الخليج الثانية وظهور الشيخ أسامة بن لادن، الموقع الذي يراد لهم أن لا يغادروه، وهو يقوم على مقايضة هويتهم القومية والدينية بحصة صغيرة من البترودولار، تناقصت في السنوات الأخيرة إلى أن أخل تناقصها بالمعادلة السياسية القائمة، وصار من الضروري أن يبادر الحاكمون إلى تجديد «العقد» السياسي القائم، أو امتلاك بديل له يحفظ توازنات الأمر القائم ويديم بقاءها، في عالم سريع التغير، تتخبط أمريكا فيه، مثلما يتخبطون هم، داخل حلقة مفرغة تدفعها إلى البحث عن أكباش فداء، بينما يمسكون هم بيدها المنقذة، ولا يلاحظون فيها السكين، التي يمكن أن تحز أعناقهم في أي وقت!.

تعصف أزمة بنيوية شاملة بالمنطقة العربية، وإن اختلفت تعبيراتها من مكان إلى آخر، وسط عجز رسمي بلغ حداً مستفزاً، بينما تؤجج أمريكا الصراع الصهيوني ضد العرب في فلسطين وحولها، ونيران حربها الخاصة ضد العراق، في منعطف حاسم الأهمية من تاريخ المنطقة الحديث، سيترتب، كما يبدو، على نهاية الحقبة التي بدأت مع ولادة النظم الحالية.

لا تخترق جيوش أمريكا قلب المنطقة فقط، بل هي تطوقها كذلك، بينما تمسك شركاتها ومصارفها بثرواتها وعائداتها، وتملي رغبات بيتها الأبيض خيارات وقرارات نخبها، التي تتبنى خطاباً وسلوكاً سياسياً يرضيه، مثلما ظهر في موقفها الأخير من عدوان إسرائيل على فلسطين، أن ابتلعت ألسنتها، وجفت الكلمات في حلوقها فلم تجد في نفسها الجرأة على الاحتجاج أو التذمر!. بالمقابل، تبدو الحركة الشعبية العربية وكأنها ترفع من جانبها الغطاء عن النظام العربي، الذي يفقد بضربة واحدة شرعيته الخارجية والداخلية، على ما بينهما من تباين في الأهمية- الخارجية هي شرعية النظام العربي الرئيسة، دون أي شك. فهل يستعيد النظام القائم مصداقيته الأميركية عبر تنازلات جديدة، استراتيجية الطابع، يقدمها إلى إسرائيل وواشنطن في فلسطين وعلى حسابها، لافتقاره إلى بديل، وحاجته إلى يد أمريكا المنقذة؟. هذا ما أعتقده وأؤكد أنه سيحدث، فالصمت العربي تجاه فلسطين، الذي تتفق عليه نظم تختلف على كل شيء، وإصرار مصر والأردن على علاقاتها السياسية مع إسرائيل، رغم كل ما تقوم به إسرائيل في الأراضي الفلسطينية، وذهاب سمو ولي العهد صاحب المبادرة إلى المغرب للاستجمام وقضاء إجازة خاصة، ليست فقط علامات على اللاعقلانية العربية السائدة، بل هي حسابات مدروسة بكل معنى الكلمة، تلتقي جميعها عند نقطة واحدة هي ترك فلسطين وحيدة في مواجهة الوحش الأميركي - الإسرائيلي، الذي ينشب مخالبه فيها ويخيرها بين قبول حل صهيوني أو الموت. نحن، إذا، وسط مساومة تاريخية خطيرة الأبعاد، تشبه تلك التي تسببت في مأساة عام ١٩٤٨، التي ما لبثت أن أودت بالنظام العربي الذي كان قائماً آنذاك، ولكن بعد أن سلم فلسطين إلى غزاتها. فهل تنجح المساومة الجديدة، التي تقوم على قبول حل صهيوني في فلسطين مقابل إنقاذ النظام العربي القائم؟. وهل يتكرر كما حدث أول مرة، فيأخذ الأمريكيون والصهاينة ما يريدون، ثم يتخلون عن «شركائهم»، ويتركونهم لمصيرهم البائس، كخونة؟.

تمسك أميركا بمصير الأنظمة الرسمية العربية اليوم أكثر مما أمسكت بها في أي يوم مضى. لكنها لا تمسك بالجديد الذي يتبلور في دنيا العرب، وحول فلسطين بالذات، ويرتكز على حدين يصعب قهرهما: المقاومة والحركة الشعبية، التي تلتف حولها وتتعلم منها، وتعيدنا إلى حقبة تشبه تلك التي كانت سائدة ما قبل النظام العربي الراهن، دون أن تعيدنا إلى أحزابها وأنماط عملها السياسي، بل تنقلنا إلى زمن عربي جديد، السياسة فيه فاعلية مجتمعية مباشرة، فهي مقاومة أيضاً، يحملها مجتمع البشر، الذين علمتهم العقود الأربعة الماضية أن عليهم أخذ قضاياهم بأيديهم، لأنها لن تنتصر إلا بهم.

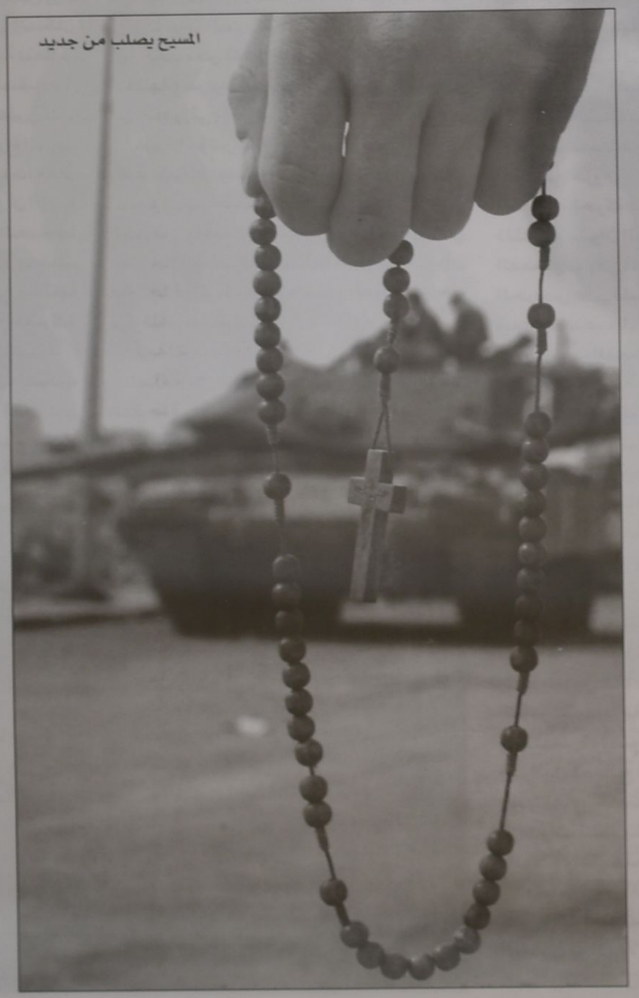

المسيح يصلب من جديد

وطن لا نحميه.. لا نستحقه

الرئيس علي ناصر محمد

جسدت ملحمة جنين ورام الله ونابلس مثالاً على الأرض عن جدارة شعب فلسطين للحياة ونيل حقوقه الوطنية الناجزة، وترجمت بالدم إلى الواقع شعار «وطن لا نحميه، لا نستحقه» وما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، وأعطته معنىً جديداً متصلاً بالاستعداد للشهادة، وقد أضيفت بطولات المقاومين في مخيم جنين إلى قائمة البطولات الأسطورية للمدن العربية، وهران، دمشق، بيروت، عدن، وقدمت صورة للصحوة العربية الجديدة في مواجهة العدوان الاستيطاني الإسرائيلي المدعوم من أكبر قوة في العالم: الولايات المتحدة

ولم يكن قتال الشوارع في جنين ورام لله ونابلس وبيت لحم، بين السكان وقوات الاحتلال الإسرائيلية ينطلق فقط من الغريزة المشروعة لمقاومة المحتلين، بل و أيضاً من التصميم على تغيير المعادلات السياسية والعسكرية للصراع العربي الإسرائيلي ووضعه على مسار جديد، وكان سيحسم هذا الصراع لصالح العرب لو أن الإرادة العربية تجاوزت عجزها ورفدت الصمود البطولي للفلسطينيين بأسباب القوة ودخلت ساحة المعركة بكل أوراق الضغط التي تمتلكها لتكون معركة العرب وليست معركة الفلسطينيين وحدهم كما حصل للأسف.

وإذ لم تنته المعركة بعد، فإن الشعب الفلسطيني يقف في خط الدفاع الأول عن مستقبل العرب والمسلمين، وإذا ما سقط هذا الخط فإن عواصم ومدن وأنظمة عربية ستتعرض للعدوان، كما أكد ذلك مجرم الحرب أرييل شارون الذي قال إن هذه المعركة ليس لها حدود، في إشارة واضحة وصريحة إلى الأنظمة العربية المجاورة على امتداد الخارطة من النيل إلى الفرات.

غير أن مؤشرات الأحداث بما انتهت إليه من وضع عسكري ودبلوماسي تبرر الخوف من أن تضيع التضحيات الكبيرة للفلسطينيين الشجعان وتعيد إلى الذاكرة نكبة العرب في العام ١٩٤٨ ومأساة هزيمة الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ التي لخصها الشاعر العربي الراحل نزار قباني بالقول:

فليعلم الصغار
حكاية الأرض التي ضيعها الكبار.. والأمم المتحدة

وفي هذه المؤشرات ثمة مخاطر من أن يتخلى العرب الكبار عن مسؤولية المشاركة في المواجهة، تاركين الفلسطينيين وحدهم في مواجهة حرب الإبادة الإسرائيلية، بعد أن ذهبت نداءاتهم لطلب النجدة هباء، حيث لا حياة لمن ينادي في وقت داست دبابات الاحتلال الأطفال والشيوخ والنساء على مرأى من العرب والعالم، واعتقلت المئات من المناضلين، وفي مقدمتهم المناضل مروان البرغوثي، أمين سر اللجنة المركزية لحركة فتح في الضفة، والأكثر من ذلك لم يتوان البعض عن الظهور على الفضائيات وفي المؤتمرات الصحفية بمظهر الحريص على فلسطين والغيرة على شعبها، وبعضهم يذهب إلى حد أكبر ويطالب بشن حرب عبر القنوات الفضائية العربية، سعياً إلى تضليل الجماهير.

نعتقد أنه لا يزال بيد المجموعة العربية الرسمية فرصة تاريخية لانتزاع الحد الأدنى من الحقوق العربية عن طريق الضغوط على إسرائيل وعلى حلفائها في الغرب باستخدام وسائل الضغط المتاحة كما حدث في الرد على عدوان السويس عام ١٩٥٦، حين وقف العرب شعوباً وحكومات إلى جانب الشعب المصري وزعيمه جمال عبد الناصر وتم إلحاق الهزيمة بالمعتدين الإسرائيليين والبريطانيين والفرنسيين معاً، وتكرر الموقف خلال حرب أكتوبر التحريرية العام ١٩٧٣ بتحرير سيناء والقنيطرة وتصويب معادلات المواجهة مع إسرائيل لصالح العرب حيث وضعت الدول العربية، وبخاصة العربية السعودية ودول الإمارات، ثقلها السياسي والاقتصادي والمعنوي في خدمة المعركة القومية.

وشاء العام ١٩٨٢ أن يسجل مأثرة للعرب حين رفدوا الصمود اللبناني الفلسطيني السوري بوجه الاجتياح الإسرائيلي بعوامل القوة والتضامن، ولم يكن أمام المعتدين

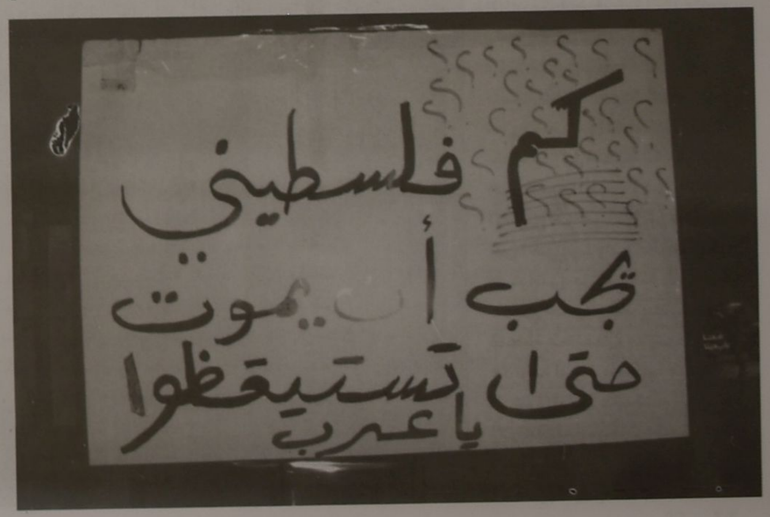

وحماتهم إلا فك الحصار عن بيروت والتسليم أمام إرادة الكفاح البطولي اللبناني الفلسطيني والانسحاب إلى شريط حدودي لم يستطيعوا في نهاية المطاف المحافظة عليه فاضطروا إلى الانكفاء إلى ما وراء الحدود باستثناء خاصرة جغرافية في مزارع شبعا، يعانون الآن مشقة الدفاع عنها أمام المقاومة اللبنانية البطلة. وفي سيرة هذه المعارك سجل العرب شعوباً وحكومات أمثلة مشرفة من الدعم متعددة الوجوه، يشار فيها إلى موقف اليمن الديمقراطية - على سبيل المثال - التي حرصت آنذاك على ترجمة الموقف السياسي إلى موقف عملي ملموس بنقل عشرة ملايين طلقة وأكثر من عشرة آلاف بندقية كلاشينكوف وبطاريات وأسلحة من مطار عدن إلى بيروت.

إن اللحظة العربية الراهنة شديدة التعقيد قدر ما هي شديدة الخطورة، فقد عزم جيش شارون من خلال حمام الدم في رام الله وجنين ونابلس وكنيسة المهد، على حسم الحرب بشطب المعادلة الفلسطينية وإعادة عقارب الساعة إلى الوراء، بفرض الاحتلال كواقع حال، وإعلان دولة إسرائيل الكبرى، استثماراً لحالة العجز العربي وغياب الحد الأدنى من التضامن العربي، ولم يحبط هذا المخطط، أو يعرقله، إلا الصمود البطولي للفلسطينيين وقيادتهم الوطنية، والهبة الشعبية العربية العارمة في الشوارع، مما اضطر الولايات المتحدة إلى التحرك السريع مخافة تحطم حلقة توازن القوى في المنطقة وميلها في غير صالح إسرائيل، فأرسلت وزير خارجيتها الجنرال كولن باول في محاولة فاشلة لإيجاد مخرج لدوامة المواجهات، ومركزة على وقف إطلاق النار فقط، وليس على جوهر أسباب الصراع ذات الصلة بالاحتلال الإسرائيلي، وحق الشعب العربي الفلسطيني في استعادة حقوقه الوطنية، في إقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس، وتحرير الأراضي العربية المحتلة، وتوالت مواقف الإدارة الأمريكية مطالبة القادة العرب بالعمل على تصفية منظمات المقاومة لأنها تعتبرها منظمات إرهابية، وليست حركة تحرر وطني، كما تجاهلت بكل صلف وغرور قتل المئات واعتقال الآلاف

وتدمير البيوت ومحاصرة الأماكن المقدسة..

إن الإدارة الأمريكية تطالب العرب بإدانة أنفسهم ومقدساتهم وكرامتهم، وحتى شهدائهم، الذين طالب جورج بوش اعتبارهم قتلة إرهابيين، لكن عليها أن تدرك أن هذا الانحياز لدولة الاحتلال والإرهاب الصهيوني سوف يرتد عليها وعلى مصالحها، وسيترك جرحاً عميقاً في قلوب حتى أقرب الناس إليها، الذين يشعرون بالحرج من هذه الصداقة والعلاقة، وعلى أمريكا أن تختار بين مصالحها الاقتصادية والسياسية والعسكرية في المنطقة العربية، وبين أصوات الناخبين اليهود وأموالهم التي تخدم بعض الزعامات، ولكنها لا تخدم المصالح الأمريكية حيث تكمن إحدى أهم عوامل قوة الاقتصاد الأمريكي في منطقتنا، لذلك يتوجب على العرب وزعمائهم وإعلامهم أن يشرحوا الأمر للشعب الأمريكي الذي لا يدرك خطورة سياسات حكامه، وخاصة بعد أن أصبحت أمريكا القطب الواحد عالمياً، بعد غياب عبد الناصر وسقوط الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة، وقبول أمريكا كراعي للسلام في الشرق الأوسط.

لقد قبل أبو عمار لقاء باول في سجنه الصغير بعد أن قبل بسجنه الكبير مع شعبه في الضفة والقطاع، ولكن كيف يقبل وزير خارجية أقوى دولة في العالم اللقاء بالزعيم الفلسطيني الأسير تحت حراب ودبابات ومصفحات قوات الاحتلال؟

إن نقطة البدء في الخطأ التي أوصلت زيارة كولن باول للفشل، أنها لم تنطلق من أساس حقيقة أن الاحتلال هو السبب الرئيس في المشكلة، هذا الأمر يعيد الوضع إلى المربع الأول الذي يعيد بدوره الكرة إلى الملعب العربي الرسمي، ليقوم بواجب المشاركة الفاعلة في معركة الكرامة التي يخوضها الشعب الفلسطيني البطل، قبل فوات الأوان.

والتأكيد مجدداً على أن السلام الذي يتطلع إليه العرب والذي تجسد في مبادرة ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز التي أصبحت مبادرة للعرب أجمعين في قمة بيروت، تصلح أساساً للسلام الذي يجب أن يؤدي إلى استعادة الحقوق الفلسطينية والعربية، وهو ما سيمثل مخرجاً من الأزمة الحالية المتفاقمة، وبديلاً عن استفزاز مشاعر العرب بأن المجرم شارون «رجل السلام».

طبيعة تعاطي الإعلام المرئي المغربي مع القضية الفلسطينية

السياسة الإعلامية .. تجسيداتها وخلفياتها

إدريس قعوري

تقديم

يروم هذا المقال معالجة بعض ملامح طبيعة تعاطي الإعلام المرئي المغربي مع القضية الفلسطينية اعتبارا لما أصبح للإعلام، وخصوصا المرئي منه، من أهمية كبرى في صنع القرار السياسي والتأثير عليه، وفي تكوين الرأي العام وتوجيهه نحو تبني موقف معين وممارسته ودعمه بشتى الوسائل والإمكانيات.

وتعتبر القضية الفلسطينية من أهم القضايا الموحدة للشعوب العربية أو التي ينبغي أن تلعب ذلك الدور، ولعلها تعتبر أيضا من بين القضايا المصيرية المطروحة على الشعوب العربية لرفع تحديها وريح رهانها في حوار أو صراع الشعوب العربية الاستراتيجي مع الآخر، ومع المنتظم الدولي، علما بأن القضية الفلسطينية تمثل القضية الأساسية الكبرى التي لا تخضع فيها للمواقع أو الاستسلام ولا للمزيدات أو المراوغات التكتيكية والظرفية.

ومن ثمة، فإن رهان التحدي، بقدر ما هو في حاجة مؤكدة إلى مبادئ راسخة ومواقف ثابتة تستمد شرعيتها من عدالة القضية تاريخيا وسياسيا وثقافيا وحقوقيا وإنسانيا، بقدر ما هو في حاجة ملحة إلى إعلام يتوفر على نفس القناعة والإيمان كي يغذي الرأي العام بالخبر الجديد، وعبر تحليل المواقف، ومن خلال تشخيص الأوضاع من وجهة نظر الشعوب العربية وفي حجم القضية، ويساير الأفق المنشود.

بيد أن الملاحظ هو كون الإعلام العربي والمغربي إذا كانا قد أصبحا، إلى حد ما، سلطة مهمة في التأثير «بتفاوت» على مراكز القرار السياسي أو فضح بعض سياسات الأنظمة خصوصا بعد تراجع دور المثقف وتوصيف دور النخبة لمعاونة السلطة، فإن دور الإعلام العربي، بصفة عامة، والإعلام المغربي، بصفة خاصة، قد تراجعا، بدرجة كبيرة، في شكل ومستوى تعاطيهما مع القضية الفلسطينية، ولم يعودا يساير ان حتى الحد الأدنى من التحرك الشعبي هنا وهناك، على تواضع أنشطته هو أيضا، بالحجم الذي كان عليه في عقود ماضية.

غير أن الإعلام المغربي لم يعد أكثر من كل ذلك، يساير شرارة الأمل التي تبعثها الانتفاضة الفلسطينية في جسد الشعوب العربية قاطبة. إذ أنه لا يبرح النظرة الإعلامية الروتينية، ذلك أن المتابعة الإعلامية للقضية الفلسطينية لا تحظى بأهمية كبرى واستثنائية تكون في حجم القضية وتحدياتها، إذ لا يخلو اعتبارها موضوعا مثل باقي الموضوعات أو يتم التعامل معها في إطار التعاطف والمواساة.

على أن هذا التعاطي يصل ذروته حين يتعلق الأمر بالإعلام المرئي المغربي الذي يعيش تحت سيطرة موقف الدولة والسلطة المغربية مباشرة، أو بمعنى آخر يخضع لوجهة النظر الرسمية وحدها في غير اكتراث بوجهات نظر الشارع المغربي ومختلف مكوناته وإطاراته الفاعلة، ذلك أن موقف الإعلام المرئي يصير هو التعبير عن لسان حال الدولة والتماهي مع السلطة. وبذلك، فإنه يعمل على اختزال صوت الشعب المغربي في موقف ورأي الدولة.. وقد يصدق الإعلام المرئي أن الدولة هي التي لها الحق في التعبير عن رأي الشارع المغربي، ويعتقد كذلك أن الدولة تعبر بالضرورة، عن الرأي الشعبي حيث يجسد الإعلام نفسه في طاعة مواقف الدولة، ومن أجل ذلك لا بد له أن يكون طيعا وخاضعا لنفس قاعدة الهيمنة.

وفي هذا الإطار، يكون الإعلام المرئي المغربي قد جرد نفسه من أن يكون له دور سياسي وثقافي وتربوي مستقل يرمي إلى طرح الأسئلة وبلورة المواقف وتجسيد الحقيقة التاريخية والسياسية والاجتماعية للقضية في كل أبعادها الوطنية، وبذلك يخلو الإعلام المرئي المغربي من لعب أي دور تربوي أو ثقافي أو سياسي حقيقي وفعلي لصالح القضية الفلسطينية.

ويمكن تتبع صورة تعاطي الإعلام المرئي المغربي مع القضية الفلسطينية عبر الوقوف عند ثلاثة محاور:

١- السياسة الإعلامية
٢- تجسيد السياسة
٣- خلفيات السياسة

إن هذه المحاور الثلاثة تشخص كلها الرؤية لهيمنة الدولة على القناتين، وتؤكد التبعية المفرطة لهذا النوع من الإعلام للمواقف الرسمية.

١- السياسة الإعلامية:

إن الإعلام المرئي المغربي لا يتوفر على وجهة نظر واضحة، منسجمة ومستقلة إزاء القضية الفلسطينية سوى مجاراة مواقف وآراء السلطة، ويمكن تلمس بعض جوانب ومظاهر غياب النظرة المنسجمة في ضبابية الجهاز المفاهيمي المستعمل، والذي يسوي بين الجلاد والضحية، وبين الإرهابي والمقاوم، وبين صاحب الأرض والحق والمستعمر الصهيوني الغاصب للأرض، والمستبيح للأرواح والنفوس، وذلك حين يتم الحديث مثلا عن الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني وحين الحديث عن «تبادل العنف» أو عن «العنف والعنف المضاد» أو حين نطق «الدولة الإسرائيلية» وتارة أخرى «الكيان الصهيوني» دون تمييز بينهما وفي اعتراف مسبق بالأولى، أو حين الخلط بين «اليهود» كأهل ديانة وبين «الصهيونية» كسياسة عنصرية، أو حين تقديم العلم الإسرائيلي أكثر من مرة والتركيز على الرموز الصهيونية وعلى القادة الصهاينة، حيث بتنا نسمع ونشاهد القادة الصهاينة يتكلمون ويتحركون وحاضرون في قنوات التلفزية المغربية أكثر مما نرى العلم الفلسطيني، أو نستمع للقادة الفلسطينيين ونشاهد رموز الانتفاضة والكفاح الفلسطيني، وحيث صرنا نتتبع ما يجري «بداخل» إسرائيل أكثر ما نعرفه عن حياة الفلسطينيين، وإن كنا لا نعرف من المستفيد من كل هذا، فإن الإعلام المرئي المغربي لا تخفى عليه مصلحة إسرائيل وآفاق التطبيع غير المباشر الذي تقدمه عدسات الكاميرات باستمرار.

وبذلك، فإن أنماط تعامل الإعلام المرئي المغربي مع القضية الفلسطينية لا تخرج عن تكريس:

١- نظرة أحادية: تترجم الموقف الرسمي كتعبير وحيد عن مواقف الشعب المغربي، وهو موقف مرسوم سلفا من طرف السلطة المغربية، ولا ينبغي الخروج عنه أو تجاوزه أو التعبير عنه دون إذن أو ترخيص من طرف السلطة.. وإنه يتم

في بعض الأحيان، تقديم الخبر مجردا من الموقف الشعبي الوطني. ومن الرأي، مع نقل صور جاهزة نسقا وفضاء دون فهم لما لها من أفق يخدم، في الكثير من الأحيان العدو الصهيوني أكثر مما يدعم الشعب الفلسطيني، باعتبار تلك الصورة من صنع الإعلام الغربي وموجهة للرأي الغربي وليس للجماهير العربية والمغربية. ولعل الإعلام المرئي المغربي يتجاهل هذه الحقائق أكبر مما يجهلها.. وبذلك، فإنه كثيرا ما تتم الدعاية للهيمنة الصهيونية وتأكيد «قوتها» أكثر مما يتم فضح جرائمها. كما يتم في العديد من الأحيان الأخرى، نقل صور تعمل على تأهيل الرأي العام المغربي للاستئناس بمختلف الرموز والأنساق الصهيونية، غير أنه للرأي العام العربي والمغربي، لحسن الحظ، ثقافة ذاتية ورؤية تاريخية، ومواقف راسخة وفهما عميقا، يحصنه من كل معنى مغلوط يستعصي معها تسريب كل فكرة ذات دلالات تخالف تصوره لعمق الصراع وحقيقة القضية وطبيعة موازين القوى الفعلية.

وربما تكون العادة هي عدم دعوة الإطارات المناضلة والفاعلة للتعبير عن رأيها وشرح مواقفها وتحليلها بالقدر الكافي، فضلا عن عدم تغطية أنشطتها الاحتجاجية من مسيرات ووقفات تم منعها من طرف السلطة، وعدم تغطية المهرجانات التضامنية الحاشدة التي تعرفها بين الفينة والأخرى، بعض المدن المغربية، في الوقت الذي تتم فيه الدعاية لبلاغات المنع في نشرات مختلفة، ونصح الجماهير بعدم النزول إلى الشارع أكثر من العمل على تلاوة بلاغات التضامن والاحتجاج والتعبئة للوقفات.

٢- نظرة مزدوجة: إن النظرة الأحادية غير متجانسة وتكتنفها مواقف متباينة من حيث كونها لا تعبر عن موقف مبدئي نهائي. ذلك أنه في الوقت الذي ينقل فيه الإعلام المرئي تصريحات رسمية ويغطي مؤتمرات للمسؤولين المغاربة سواء عن القضية الفلسطينية، أو خاصة بها، نجد الإعلام المرئي نفسه يقوم بين الفينة والأخرى، بنقل زيارات لقادة أو وفود صهاينة للمغرب أو يستر عليها، ولا يغطي أي موقف منها. ولا يتورع نفس الإعلام في مناسبات مختلفة عن عرض الأشرطة الكاملة التي تقوم بالدعاية للعدو الصهيوني، أو لا تحجم عن بث بعض الأفلام التي تسيء للشعب الفلسطيني وتعاديه أو التي تحرف الحقائق وتعتم على جوهر القضية الفلسطينية أو تظهر الشعب الفلسطيني وبعض الدول المجاورة بمثابة إرهابيين أو نازيين جدد.

٣- نظرة عاطفية: إن الإعلام المرئي المغربي لا يخرج، في أحسن أحواله، عن تقديم نظرة عاطفية عن القضية والشعب الفلسطيني، لا تخلو من بعد إنساني عام أكثر منه التعبير عن موقف

مبدئي وطني وقوي يعطي للقضية ما تستحقه من الاهتمام في برامج القناتين التلفزيونيتين بالمغرب، ذلك أن نقل بعض مظاهر الغطرسة الصهيونية والمجازر اليومية أهم من توضيح: لماذا يفضل الفلسطينيون الاستشهاد بسخاء منقطع النظير، ورصد أرقام الشهداء بصيغة مبتذلة وباهتة وفارغة من المعنى تعتبر أفضل من إجراء تحقيق عن جوهر الحياة وكنه، ولكن الأوضاع الفلسطينية اليومية في ظل الانتفاضة والمجازر الإرهابية الصهيونية، ونقل صور وخطابات الصهاينة وقاداتهم أيسر وأسهل وأضمن من الاستماع للفاعلين السياسيين في الأراضي الفلسطينية، ورصد العارض والجزئي، اليومي والثانوي، أرخص من البحث عن الجوهري الذي يترك الانتفاضة مستمرة والتحيات متواصلة تحت نيران الطائرات والمدافع والدبابات، وتمرير رأي مسؤول عربي مغربي أهم بكثير من الاهتمام برد فعل ونبض الرأي العام الشعبي العربي والمغربي.

إن الإعلام المرئي المغربي يكرس رؤية مختلفة وغير سوية في تعاطيه مع القضية الفلسطينية. إذ يتعامل معها من دون غاية سوى التعبير عن مواقف السلطة المغربية كما لا يعير اهتماما ولا يبالي بالصور والمواقف التي قد لا تخدم القضية، والتي قد تكون لها نتائج معكوسة تخدم العدو الصهيوني أساسا، والإعلام المغربي بذلك يعيش مغتربا عن وظيفته ومخالفا لرسالته تجاه القضية الفلسطينية من حيث كونه لا يتحرك إلا تحت الطلب، ولا يوجد إلا ما يعرف مسبقا أنه لا يخرج عن المرغوب فيه والمسموح به، ولكونه لا يعطي لمادته الإعلامية أية قيمة تجعله في منأى عن الخطأ.

٢- تجسيدات السياسة:

إن لطبيعة التعاطي الإعلامي السابق مع القضية الفلسطينية تجسيدات واضحة وثابتة ارتقت من مستوى اعتبارها سلوكا إعلاميا ظرفيا أو متقلبا أو غير مقصود إلى درجة كونها ممارسة سياسية أصبحت تشكل نسقا متكاملا يمكن تقديم بعض عناصر نمذجته كالتالي:

- الدعاية: إن الإعلام المرئي المغربي بقناتيه التلفزيونيتين معا يعتبر نفسه أو أريد له أن يكون ليس أداة تعبير فقط عن مواقف الدولة والسلطة المغربية تجاه القضية الفلسطينية، وإنما وسيلة للدعاية للمواقف الرسمية باعتبارها مواقف مقدسة وتعبر عن الشارع المغربي في تناغم وتماه تامين.

- التزكية: وتتحرك القناتان أيضا، لتسليط عدسات كاميراتها على بعض الأنشطة البسيطة أو الكبيرة حول القضية الفلسطينية من أجل تزكية الموقف الرسمي وقصد دعمه وكأن النشاط المعني أقيم بإيعاز من السلطة أو يعتبر هبة منها. وقد ترخص السلطة لمسيرة معينة وتقف من وراء ذلك مثل مسيرة الرباط التي تجندت لها كل وسائل الإعلام وأفردت لها القناتان تغطية استثنائية لكون الدولة كانت تبحث في ذلك الظرف مثلا عن التفاتة من طرف المنظم الدولي، وعن شرعية قومية مع قرب انعقاد مؤتمر أو اجتماع لجنة، حيث يتم تقديم المسؤولين المغاربة

كشخصيات وازنة وذات خلفية جماهيرية عريضة وقوية.

- التزيين: إن القناتين الأولى والثانية المغربيتين تتسارعان في بعض الأحيان وبطريقة مفاجئة لالتقاط بعض الصور أو تغطية بعض الأنشطة العادية أو أخذ تصريحات قصد تزيين الصورة الإعلامية التي تفرضها ظرفية معينة خاصة بإعلان موقف رسمي أو بزيارة شخصية فلسطينية للمغرب، أو بانعقاد مؤتمر أو قمة ما حول القضية الفلسطينية أو مدرجة بجدول أعماله.

- التعمية: وقد يتم بمناسبة زيارة بعض القادة والرموز والوفود الصهاينة، سواء في إطار زيارات رسمية أو غير رسمية، معلنة أو غير معلنة، نقل بعض الأنشطة التي تقوم بها الإطارات المدنية من أجل التعمية على الأنشطة والتحركات الصهيونية والتخفيف من حدة وقعها وردود الفعل بشأنها علما بأنه لا يتم السماح في مثل هذه الظروف إلا بعرض أنشطة بسيطة في أماكن وفضاءات ثانوية ولا يسمح بالأنشطة الوازنة والمقلقة أو المحرجة للسلطة أو التي لا ترضي الوفود الصهيونية خصوصا إذا كان النشاط يقام أو مزمع القيام به في أماكن أو مدن يكون من المحتمل أن يحل بها الصهاينة أو يمروا بالقرب منها، بحيث إنه إذا لم يتم منع النشاط من طرف السلطة، فإنه يتم التعتيم عليه إعلاميا، وعموما، فإنه إذا ما تم في مثل هذه المناسبات عرض بعض الأنشطة قصد التعمية وذر الرماد في العيون، فإنه لا يتم نقل إلا الأنشطة البسيطة من أجل دغدغة العواطف وامتصاص الغضب إزاء الزيارة الجارية أو المرتقبة للصهاينة.

- التفويض: ويتم في بعض الأحيان تدارك الموقف وعرض صور نشاط معين من أجل التكفير عن منع مسيرة ما أو وقفة معينة في مكان حساس بالنسبة للسلطة، مثل السفارات والقنصليات وربما يتم تسليط الأضواء على النشاط لمحو آثار العنف الممارس ضد تظاهرة سابقة، وكثيرا ما يتوقف اختيار الأنشطة العادية والتركيز على الأنشطة من وجهة نظر احتفالية وخيرية لا ترقى إلى إبراز أفقها الوطني والقومي.

- تخليد الذكريات: تتوجه القناتان إلى الجمهور المغربي وتبحث هنا وهناك عن مشهد أو نشاط خاص بفلسطين، أو يدور حولها، في جانب من الجوانب، من أجل أن تقدمه تخليدا لذكرى ما، مثل ذكرى يوم الأرض من أجل إبراز احتفال المغرب بهذا اليوم، وقد ترافق هذا النقل بعرض شريط أو ريبورتاج يكشف بعض المحطات في تطور القضية الفلسطينية، على أن هذا التعامل لا يرقى دائما إلى مستوى التفاعل الإيجابي مع القضية، وإنما يظل في حدود ما تفرضه المناسبة.

إن هذه التجسيدات تعبر بوضوح عن طبيعة التعامل الإعلامي المرئي مع القضية الفلسطينية والذي لا يخرج عن حقيقة التعامل الرسمي الجامد والبارد مع المزدوج والغامض مع القضية. إذ تعتبر السياسة الإعلامية للقناتين تنفيذا أمينا للسياسة الرسمية، فكل أخبار وتعاليق وعروض القناتين مبرمجة بإيقاع السلطة، ولا تخرج عن دائرة مواقفها وتحركاتها، ولا تتجاوز صوت ونبرة الدولة، إن هذا الارتباط المبرمج هو الذي يجعل تعاطي القناتين مع القضية الفلسطينية متقلبا ومختلا، فإذا ما تم نقل بعض الصور عن تظاهرة ما، فإن الحديث قلما يرافق الصورة وكثيرا ما يخالف تعليق الإعلامي أهداف ومواضيع التظاهرة. وإذا ما تم احترام بعض جوانب الموضوع، فإن الحديث لا يكون له أي معنى، حتى يتم تقديم الحديث أو التصريح مبتورا أو مجزوءا ويتم جعل الأساسي ثانويا والثانوي أساسيا، فيتم إفراغ القضية من جوهرها ومن كل ما لا يساير مواقف السلطة أو يحمل نبرة عدائية لإسرائيل وأمريكا والأنظمة العربية.

ولعل هذا التعامل غير السوي مع القضية الفلسطينية ليس خاصا بنموذج التعاطي مع أشكال التضامن والنضال المغربي المرتبطة بالقضية الفلسطينية، من حيث هي قضية وطنية، ولكن هذا النوع من التعامل الإعلامي يعد شاملا وينطبق حتى على تتبع ما يجري بالأراضي المحتلة، أو ما لذلك من صلة ببعض المحطات والمواقف الدولية. بحيث يتضح أن تبعية الإعلام المرئي للسلطة ومواقفها تبعية عمياء والتماهي معها تماهيا مطلقا لم يسمح له بتكوين نظرة متجانسة ومتكاملة عن القضية الفلسطينية، وجوهر الكفاح بالأراضي المحتلة، إذ ليس هناك برامج تحليلية وندوات عن الحياة الفلسطينية والأوضاع المزرية للشعب الفلسطيني، وكل ما يقدم لا يخرج عن مجرد الوصف والإنشاء بطرق يغلب عليها الضحالة، وتوحدها السطحية، والابتذال، من دون تكلف معاناة التفسير والتحليل وتوضيب الصورة وإبراز الخلفيات وتشخيص الأوضاع قصد تعبئة الرأي العام.

٣- خلفيات السياسة:

إن للسياسة الإعلامية للقناتين التلفزيونيتين المغربيتين خلفيات تؤطرها في تعاطيها السابق مع القضية الفلسطينية، ففضلا عن كون السلطة تعمل على الاعتماد والتوظيف للقناتين وعلى بسط هيمنتها عليها والتحكم فيها، فإن القناتين معا تجتهدان، أكثر فأكثر، في التفاعل الإيجابي مع المواقف الرسمية وإعمال سياسة السلطة لاعتبارات نوجزها في ثلاثة أبعاد:

- التوسط والتسخير: إن القناتين معا لا تعملان سوى بنظرية إعلامية واحدة تكرس هيمنة السلطة على وسائل الإعلام، وبذلك تغيب الرسالة الإعلامية المستقلة ويحضر منطق التوسط بين السلطة والرأي العام، حيث لا ترى القناتان أي حرج في استمرار تسخير خدماتهما للسلطة وتغليب رأيها على باقي الآراء.

- الدعاية والمداهنة: ولعل الدعاية لمواقف السلطة ومجاراة سلوكاتها ومراوغاتها يعتبر المنطق المؤدي لمحاباة السلطة ومداهنتها قصد تصيد العطايا، وحماية المصالح وتراكم الثروات في ظل نظام مخزي يقوم نسقه على الهدايا والولاء.

- الرضى والطاعة: فبقدر ما يجتهد الإعلام المعاصر والحديث في تحقيق الاستقلال عن السلطة والإخلاص للرسالة الإعلامية وللخبر المقدس والمعرفة للجميع، بقدر ما يجتهد الإعلام المرئي المغربي كي يظل الابن المخلص ويحرص على الوصول لرضى السلطة والطاعة الفجة والعمياء لها دونما اعتبار للرأي العام.

وبذلك كله، فإن الإعلام المرئي المغربي بقناتيه يظل في تعامله مع القضية الفلسطينية طبعة متخلفة من أسلوب الاتصال المخزي الذي لا يخرج عن النظرة الوحيدة وعن الازدواجية والمراوغة وتكريس الضبابية، ذلك أنه يعمم أسلوب التعامل مع القضايا المغربية الداخلية، حيث هيمنت الدولة على كل دواليب الحياة وحضورها القوي في تسيير أحادي وغير شفاف للشأن العام، على أسلوب التعاطي مع القضية الفلسطينية باعتبارها تعلو على كل القضايا، وحيث يوجد شعب بكامله عرضة للتشرد والمجازر اليومية، التي لا تقبل الانتظار أو التأجيل والتي تعلو على الاعتبارات والحسابات الفئوية الضيقة.

ولعل نوع التعاطي الإعلامي المرئي المغربي السالف الذكر يعمل على شيئين اثنين:

١- حرمان الشعب الفلسطيني من دعم وطني هو في أمس الحاجة إليه من أجل الاستمرار في كفاحه.

٢- خدمة العدو الصهيوني عبر حرمان الشعب الفلسطيني من كل سند وطني وقومي بكل ما يعني ذلك من استمرار اجتثاث الصهاينة للأراضي الفلسطينية والاستيلاء على الخيرات القومية وكبح حظوظنا في التنمية والتقدم.

شباب عرب.. عن العدوان والقمة والانتفاضة

رانيا زكاري - دمشق

العدوان الهمجي الذي يشنه شارون وعصابات الصهيونية، ضد الشعب الفلسطيني مستهدفا الأرض والحجر والشجر والبشر، حرك مشاعر الملايين في العالم، وحرك الكثير من المياه الراكدة في صفوف الملايين من شباب العرب، الذين بدأوا على ما يبدو يستعيدون قضيتهم الأساس، ويرون في حرية فلسطين، حريتهم.

وترافق العدوان مع القمة العربية الأخيرة في بيروت، حرك مزيداً من الأسئلة تحولت إلى انتقادات حادة، حاولنا إعادة صياغة بعضها لكي نتمكن من نشرها، رغم أنها تعبر حقاً عن حال الأمة وحكامها، وهي تمثل حتى برأينا المهني، الحد الأدنى من النقد المعتدل الذي يجب أن يوجه.

توجهنا في سؤالنا حول القمة والانتفاضة وعملية الذبح المنهجية التي يتعرض لها شعبنا في فلسطين، إلى مجموعة من المواطنين العرب في محاولة لتلمس أكبر قدر من أفكار الطيف الواسع للجمهور العربي، فكانت هذه الشهادات.

وليد عبد الرحيم
كاتب وصحفي فلسطيني:

بالنسبة لي، غسلت يدي من الأنظمة العربية منذ مئات السنين، لكن الشعوب شيء آخر، فقد رأيت فلسطين تكبر كلما كبرت جرائم القتلة، التي جعلت طلقات هتاف المتظاهرين أقوى وأعمق.

هؤلاء المتظاهرون الذين يرسمون خارطة وطني على كل شفة، وفي كل عاصمة من العواصم التي حررتها فلسطين من سلاسلها، فبنفس المستوى الذي دكت به حجارة وطلقات المنتفضين حصون الصهاينة، دكت هذه الانتفاضة جدران العقل العربي، وفتحت ثغرة في قلعة التخلف التي نعيش بداخلها.

شعبياً: يجب تفعيل المقاطعة للبضائع الأمريكية بشكل أكثر جدية، فإن ما أستنكره هو أننا نهتف ضد أمريكا وإسرائيل، وتخرج حناجرنا من جماجم رؤوسنا، ثم نأخذ فسحة للدخن سيجارة مالبورو، ونحلم في المساء بكابرس جديدة، التي أراد لنا العدو أن لا نعرف العيش بدونها.

بسام رجا
كاتب وصحفي:

الفلسطينية علامة فارقة

لعل المواطن العربي قد أصبح أكثر فطنة ووعية مع إدراكه أن مؤتمرات القمة العربية لن تتجاوز حدود الطقس الفلكلوري والبهرجة الإعلامية التي سرعان ما تتلاشى وتذوب فيها الخطب «الرنانة» مع انفكاك الجلسات الرسمية وتعود الأمور إلى سابق عهدها، وهذا ليس للإحباط وإنما قراءة مستمدة من التجارب التي فرضتها الوقائع التي رافقت الخطاب الرسمي العربي، الذي عشش فيه الوهن، وأعطب مفاصله... ولم يعد قادرا على الفعل، لأنه اختار أن يكون ساكنا منفعلا في الحدث.

لذا نلحظ أن القمة العربية الأخيرة التي شهدتها بيروت وسط حالة نضالية وجهادية فلسطينية تشكل علامة فارقة في تاريخ الصراع العربي - الصهيوني، لم ترتق بالقمة لاجتراح الرؤى والفعل لملامسة هذا الدم وملموح الشعب الفلسطيني لاستعادة أرضه المغتصبة - في معركة شرسة تقف فيها الولايات المتحدة بكل جبروتها إلى جنب الكيان الفاشي - الدموي.

أرى في التظاهرات الشعبية التي تعم الوطن العربي وتجاوزته إلى معظم دول العالم، التعبير الصادق والحي، المعبرة عن الوعي لطبيعة هذا الاحتلال المدجج حتى الأسنان، بكل النظريات الفاشية لإبادة الشعب الفلسطيني وسحقه في أرضه. المشاركة في هذه التظاهرات تبقي القضية ساخنة ومشتعلة وتحمل أكثر من دلالة، والدلالة الأهم، أن الشعب العربي من محيطه إلى خليجه قد يفعل الكثير في حال أتيحت له الظروف.. والمستقبل يحمل إشارات تؤكد أن هذا الشعب سيصوغ قراراته التي سيكون لها الأثر البالغ في مسار الصراع العربي - الصهيوني.

حسن العطار

من أكثر المشاهد المؤثرة، عندما نتجول بين قنوات التلفزة العربية، حيث نرى إحدى القنوات الفضائية العربية تعرض برنامج فني راقص، وأشقالهم في فلسطين يذبحون، وعندما ننتقل إلى فلسطين نشعر كأننا ننتقل من عالم إلى عالم آخر، وليس بين بلد عربي وآخر، وهذا المشهد برأي مؤثر أكثر من أي مشهد آخر.

ولا أتوقع أن يحدث أي موقف عربي مشرف في المدى القريب، ولكن الصبر له حدود، والدم العربي ليس رخيصاً.

والأمن مطلوب ولكن ليس لحد السيطرة على كياننا ونفوسنا، فصلاح الدين سيطلع من قبره لينهي مفعول المخدر الذي أخذه الحكام العرب.

وإن أمريكا هي وراء كل المصائب التي تحدث والتي ستحدث، ولا نستبعد أن تقول أمريكا للعرب: لقد وجدنا إلها للسلام وهو بحاجة لعشرة شباب قربانا له، ونحن سنصدقها.

هم الإرهابيون وليس نحن، ولكن الشعب العربي مغلوب على أمره، ويشعر فعلا أن هناك جزء من جسده جريح «ينزف» هناك في فلسطين، ونحن لا نملك ما نقدمه لهم سوى الدعاء والتسلح بالعلم.

والمساعدات المادية التي تقدمها الدول العربية غير كافية والمظاهرات غير مجدية.

ولا يوجد أي دولة عربية أعطت دعما حقيقيا

لشعب فلسطين، فلا شئ يذكر سوى موقف قطع النفط العراقي.

كلنا مسؤولون، كل فرد عربي مسؤول عما يحدث في فلسطين، أمام الله وأمام ضميره، فالأجانب يعتصمون هنا وهناك «المسرح القومي»، «الأمم المتحدة» لأنهم دعاة إنسانية.

وعندما ينشغل أي إنسان عما يحدث في فلسطين يكون مقصراً، فأضعف الإيمان هي الدعاء لإخواننا بالنصر المؤزر.

وإذا بقينا صامتين سيأتي دورنا عاجلاً أم آجلافنحن في مرحلة تصفية عربية وإسلامية.

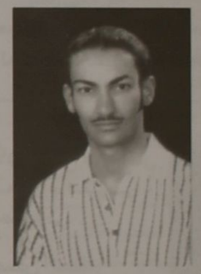

باسل مخلوف
«فنان تشكيلي»

عندما أرى مشاهد العنف ومشاهد الدم الفلسطيني المراق أبقى أيام، لا تذهب من بالي المشاهد التي رأيتها، لا آكل ولا أنام، فمشاهد الجثث المحترقة، حيث تعمد سلطات الاحتلال إلى إبقاء النار عليهم حتى يتفحموا، وجماعات الصليب الأحمر والهلال الأحمر يخافون هم أنفسهم من الوضع الخطير داخل مناطق الضفة الغربية، فقد دخلوا أطراف أحياء غير مسموح بدخولها، فثلاثة أرباع المخيم في جنين غير مسموح دخولها، فالصور التي أخذت منه كانت مروعة جداً كأنها صبرا وشاتيلا ودير ياسين. والشعب العربي يفعل ما يستطيع ولكن ما بيده حيلة.

إلى الآن لا يوجد قرار رسمي أو حتى ضرورة بأنه يجب محاربة إسرائيل، وإيقافها عند حدها. الشعب العربي يعمل كل ما بإرادته وما بوسعه.

وأمريكا كدولة تحكي وتكذب نفسها. أتوقع أن شعبنا سيحدث تغييراً في الوضع القائم، لأن العرب لن يسكتوا فالابتزاز الذي يتعرض له الشعب العربي غير طبيعي. وغير محتمل. وضغط الشارع العربي على الحكومات العربية سيحركها قريباً إنشاء الله.

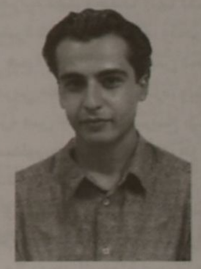

عمار قرعيش
«مصمم فني»

ما يفعله شارون يرتبط بطبيعته العدوانية الإجرامية والدموية، ورغبة منه بالتوسع خارج فلسطين، وبناء على معتقداتهم اليهودية التي خربت لهم عقولهم. فهدفهم النهائي هو القضاء على الإسلام والمسيحية بالدرجة الأولى، فهم شعب الله المختار. ولا يريدون إلا سيادة الجنس اليهودي. وليس من المتوقع أن يحدث شيء في المستقبل القريب. فهناك مراوغة ولف ودوران.

والذي لم يفعل شيئاً في أوج اشتعال الأزمة الفلسطينية، لن يفعل شيئاً أبداً لا اليوم ولا غداً.

وليس لنا خيار إلا أن ندعو لإخواننا في الداخل بالنصر والصبر، وإنهم من المنتصرين بإذن الله، وإن غداً لناظره قريب.

شيرين يحيى
«طالبة صحافة»

إن الوضع الفلسطيني صعب جداً وكان الله في عون الشعب الفلسطيني الذي يضحي بأغلى ما يملك في سبيل الوصول لتحقيق وطن حر كريم لا وجود للغريب المحتل فيه.

وهناك تقصير عربي كبير إزاء الوضع الفلسطيني المتفجر، والذي ما عاد يحتمل لا مماطلة ولا تأجيل، فالقمة العربية لم توف القضية الفلسطينية حقها، فقد اقتصر الدعم على الجانب المادي الذي أضحى غير فعال فلابد من دعم سياسي مقرون بدعم عسكري.

والجماهير العربية حاولت أن تتضامن مع الشعب الفلسطيني بأقصى ما تستطيع، ولكنها كثيراً ما جوبهت في بعض الدول العربية بقمع حكوماتها، وبرأيي أن هذه الظاهرة التي ملأت معظم المدن والعواصم العربية سترفع من معنويات أهلنا في فلسطين المحتلة وتزيدهم حماساً وإصراراً على تحقيق النصر.

شاهدنا منظر إسرائيلي وهو يقتل طفلاً فلسطينياً أو طفلة، وكذلك شاهدنا منظر شرطة بعض البلاد العربية يحملون الهراوات ويضربون بها المتظاهرين. لا شيء يستبعد على الصهاينة، المفاجأة تأتي من العرب أنفسهم، باعتقادي أن احتمالات حدوث تغيرات في المستقبل القريب مستبعدة لأننا اعتدنا الروتين والمماطلة، حتى وإن كان الأمر متعلقاً بكرامة وطننا وسلامة مواطنينا.

د. سامر حسين
«طبيب»

الوضع السيء داخل فلسطين المحتلة هو نتيجة طبيعية لسوء الوضع العربي ككل، وقد شكلت الأحداث الدموية الأخيرة الرد الإسرائيلي السريع على القمة العربية التي لم تأت بجديد سوى الشجب والاستنكار، وحتى على الصعيد العربي فالمصالحة جزئية ولن تأت بنتائج على المدى الطويل.

وبالنسبة للقضية الفلسطينية فقد ضرت أكثر مما نفعت، وأعطت انطباع للإسرائيليين بالهوة التي تفصل بين العرب، والحساسيات التي باتت وراء عدم رضى وقبول الشارع العربي عن

أطفال على الطريق

قادته، بحيث ظهر العرب كمناشدين لحكومة شارون، خاصة أنه رفض المبادرة السعودية التي تبنتها القمة مما زاد العرب والقمة ضعفاً.

والأحداث التي تجري داخل فلسطين يجب أن تستنهض ضمير ونخوة كل مسلم ومسيحي، فيجب أن توجه دعوة باسم الإنسانية جمعاء لإيقاف هذا السافح الهائج وردعه عن أعماله التدميرية الدموية. وليس هناك أي بوادر تلوح بالأفق لحدوث أي تغير في المواقف العربية إزاء القضية الفلسطينية فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.

فالسلام يجب أن يكون مع من يعرف معناه، فقد أعطينا عدونا فرصاً بما فيه الكفاية، وآن الأوان لنقول كفى فقد بلغ السيل الزبا.

جهينة أبو الهيجا
«موظفة في شركة خاصة»

أقل وصف لما يحدث، بأنه تطور خطير في سعي العدو للقضاء على الشعب الفلسطيني أولاً وانتهاء بالسيطرة على العالم الإسلامي كاملاً، وبدأوا ذلك من قبل في أفغانستان.

والموقف العربي الرسمي لم يصل إلى أدنى مستويات الفداء الفلسطيني، فكأن ما يجري لا يتعلق بهم لا من قريب ولا من بعيد.

وإذا كان سيحصل أي تغيير، فسيصنعه الأبطال والثورة، ستصنعه زنودهم، لا الاجتماعات ولا التصريحات والتنديدات.

الانتفاضة هي التي سوف تصنع وتغير وتقلب التاريخ، لأن ما يحدث لم يعد يحتمل ولم يعد الشارع العربي يطيق ما يحدث.

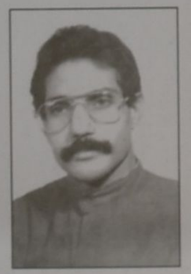

سمير عويص
«مهندس زراعي»

إن الوضع السياسي والعسكري ساخن جداً داخل المنطقة العربية والدول العربية ليس لديها أي شيء لتحركه.

ومنظمة التحرير الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات المحاصر تبذل جهوداً جبارة لتحريك وحلحلة الوضع السياسي وتتدخل إلى جانبه - بدعوى المساندة والعون - بعض الدول العربية، ولكن دون جدوى.

والسبب الرئيسي لما يحدث أن العدو الصهيوني يريد الاحتلال الكامل لكل الأراضي الفلسطينية، بشكل أو بآخر سواء بالحرب أو بالسلم المزعوم.

ولا أظن أن شيئاً سيتغير والموقف العربي الرسمي هو هو، حيث لا موقف يذكر بل لا يستحق الذكر.

وأخيراً أقول: المقاومة المسلحة الفلسطينية ستفيدنا كثيراً لأن موقفنا ثابت ونحن أصحاب حق قوي، أما عمليات الجيش الإسرائيلي الوحشية لن تجديه نفعاً لأنها تبقى متخبطة وقائمة على باطل.

ماجدة محمد
«مدرسة»

إن ما يجري داخل الأراضي الفلسطينية، هو بأقل ما يمكن وصفه، مجزرة إنسانية بشعة وتقشعر لها الأبدان، ولكن ما أود أن أذكره أن الشعب الفلسطيني لم يعرف الراحة أو الهدوء والسكينة، منذ سنين طويلة، وما يحدث ليس بالشيء الجديد بالنسبة لهذا الشعب الذي اعتاد على مرارة العيش داخل الأرض وخارجها، ومن الملاحظ أن الموضوع الفلسطيني ينسى في بعض الأحيان ويغيب عن التغطية الإعلامية.

فاستشهاد ثلاثة أو أربعة يومياً لم يعد شيئاً يستحق الذكر، بل الشهداء يجب أن يكونوا بالمئات، والجرحى بالآلاف، حتى يحظى الشأن الفلسطيني ببعض الاهتمام.

والمستوى العربي الرسمي والشعبي ليس على مستوى هول المجزرة الوحشية التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني، وما زال الشعب الفلسطيني يذوق حتى الآن مرارة القصف والحصار والقتل العشوائي الذي لا يرحم، لا شيخ ولا طفل ولا امرأة، فالكل مستباح قتله.

ولا أتوقع أن يحدث أي تغيير في الموقف العربي فالوضع جامد، فكل عشر سنوات أو حتى أكثر يتحسسون ويذكرون الوضع السيء داخل فلسطين وذلك لفترة وجيزة، ثم يهدأ الوضع ونعود إلى السبات.

وكل المشاهد التي نقلتها وسائل الإعلام المرئية والمقروءة وحتى مواقع الإنترنت مؤلمة جداً وتبكي حتى الحجر الأصم، ولكن نتمنى أن تبكي وتؤثر بمن يجب أن يتأثر.

طلبة أجانب متضامنون مع فلسطين

تقرير عصام سلامة

في سياق رصد الهدف للتفاعلات العربية والعالمية مع المجزرة التي يرتكبها الإرهابي شارون وعصابته من نازيي القرن الحادي والعشرين، تابعت الهدف الاعتصام التضامني الذي نفذه عدد من الطلبة الأجانب في سوريا أمام مقر سفارة الاتحاد الأوروبي في دمشق، وقد بدأ هؤلاء الطلبة اعتصامهم مع بدء العدوان الهمجي الصهيوني، ومازال مستمراً حتى إعداد هذا الموضوع ولأكثر من أسبوعين، وأكد الطلبة أنهم سيواصلون نشاطهم الداعم للشعب الفلسطيني بعد إنهاء الاعتصام..

فاعلية هؤلاء الأصدقاء تجاوزت مجرد الجلوس، في الصباح يقومون بزيارات للسفارات الأوربية والغربية ويرفعون المذكرات إلى حكوماتهم ويراسلون أصدقائهم ومنظمات حقوق الإنسان عبر الإنترنت مطالبين بدعم الشعب الفلسطيني وإنقاذه، وغيرها من الأنشطة.

الهدف التقت بعضاً منهم وكان هذا التقرير..

السؤال الذي عرضناه هو عن الهدف من اعتصامهم، ورسالتهم إلى الرأي العام العربي والغربي والمنظمات الإنسانية، في ظل المجزرة الشارونية المستمرة بحق الشعب الفلسطيني.

❖❖ أندرو كلارنو «أمريكي»:

نشعر أن من واجبنا أن نقول لحكوماتنا خاصة أمريكا والاتحاد الأوروبي، أنه لابد من عمل شيء لوقف العدوان الإسرائيلي الهمجي على الشعب الفلسطيني، اعتصامنا هو تعبير بسيط عن تضامننا مع هذا الشعب، من الواضح لنا أن الحكومة الإسرائيلية لا تحترم حقوق الإنسان الفلسطيني، ولا تعير أي اهتمام للقانون الدولي، وما يرتكبه الجيش الإسرائيلي في مخيم جنين ونابلس من قتل وإبادة جماعية شيء فظيع ومأساوي ولا أخلاقي، وعدم استجابة إسرائيل لنداءات العالم وخاصة قراري مجلس الأمن «١٤٠٢- ١٤٠٣» يعود بالأساس إلى الدعم الأمريكي لإسرائيل، رغم أن صيغة القرارين ضعيفة ولا تلبي طموحات الشعب الفلسطيني.

أندرو

نجاة

فيدريكو

❖❖ نجاة بولا فدال «بلجيكية»:

في البداية بدأت مع زملائي بكتابة رسالة مطالب لسفير الاتحاد الأوروبي في دمشق، ولكننا شعرنا أن هذا غير كاف، وتحدثنا مع نائب السفير، وخلال المقابلة زادت قناعتنا بأن ذلك لا جدوى منه، فقررنا الاعتصام، نحن معتصمون تضامنا مع الشعب الفلسطيني وضد العدوان الإسرائيلي، بهدف إيصال صوتنا إلى الرأي العام الغربي والمنظمات الإنسانية.

ويهدف فرض الانسحاب الكامل حتى حدود الرابع من حزيران، ويجب برأيي أن نعمل على محاكمة شارون بسبب ما ارتكبه من جرائم بحق الإنسانية والفلسطينيين.

❖❖ فيدريكو سالفاتجو:

التقينا في البداية مع نائب السفير الإيطالي في دمشق، وقدمنا له احتجاجنا على ما ترتكبه إسرائيل من مجازر دموية بحق الفلسطينيين، وطلبنا منه أن يرفع رسالتنا إلى الحكومة الإيطالية من أجل اتخاذ موقف جاد وفعال للضغط على الحكومة الإسرائيلية لإرغامها على الانسحاب فورا من المدن الفلسطينية، ولكننا لم نتلق أي جواب حتى الآن؟ وهدفنا من هذا الاعتصام أن يعرف العالم بأننا ضد الموقف الأمريكي المنحاز لإسرائيل، ونحن نريد ونرغب في أن يتحقق السلام العادل والشامل في الشرق الأوسط.

❖ ما هو تعليقكم عل الموقف الأمريكي الذي عبر عنه كولن باول في مؤتمره الصحفي الذي عقده مع شارون مؤخراً، حول تفهم الإدارة الأمريكية لحق إسرائيل في اجتثاث ما يسمى بالإرهاب الفلسطيني؟

❖❖ أندرو:

من الواضح أن الحكومة الأمريكية وللأسف الشديد، تقف موقفا منحازا مع إسرائيل، وليس هذا فحسب بل تساعدها على الاستمرار في عدوانها على الشعب الفلسطيني وذلك بحجة مقاومة الإرهاب؟.. وهي هنا لا تميز بين الإرهاب وحق الشعوب في مقاومة الاحتلال الأجنبي، باعتباره حق مشروع نصت عليه قوانين الأمم المتحدة وكافة الأعراف الدولية.

❖❖ نجاة بولا فدال:

إنه لأمر مضحك حقاً حديث كولن باول عن حقوق الإنسان في الوقت الذي يعتبر فيه أن ما يقوم به الشعب الفلسطيني بالدفاع عن أرضه ووطنه ضد الاحتلال الإسرائيلي هو عمل إرهابي؟ وفي ذات الوقت يغض الطرف عن ما تقوم به إسرائيل من مذابح جماعية بحق المدنيين الفلسطينيين، وهو بهذا إنما يعبر تماماً عن الموقف الرسمي الأمريكي المنحاز لإسرائيل وبكل وضوح.

❖❖ فيدريكو:

إن موقف الحكومة الأمريكية الذي عبر عنه كولن باول هو في حقيقة الأمر موقف منحاز لإسرائيل، والحكومة الإيطالية في اعتقادي لا تبتعد كثيرا عن الموقف الأمريكي.

❖ ما هو موقفكم من استمرار إسرائيل في محاصرة «كنيسة المهد» والتمادي في استفزاز مشاعر كل المسيحيين في العالم، وعدم استجابتها لنداءات الكنيسة المتكرر بإيجاد حل لمشكلة حصار موقع ديني هام بطريقة نازية؟

❖❖ أندرو:

من المعروف أن فلسطين هي مهد الديانات السماوية، ويوجد فيها أماكن دينية هامة لكل الأديان، ومع ذلك فإن إسرائيل لا تعير أي اهتمام يذكر حتى للمشاعر الدينية، وتستمر في ممارستها لكل الأعمال البربرية والهمجية ضد أبسط حقوق الإنسان.

❖❖ نجاة بولا فدال:

برأيي أن الحكومة الإسرائيلية لا تعير أي اهتمام للمشاعر الدينية، لهذا لا بد للمجتمع الدولي وخاصة منظمات حقوق الإنسان أن تتخذ إجراءات حازمة وفورية ضد الحكومة الإسرائيلية لمنع وقوع المزيد من المآسي والمجازر التي ترتكب يوميا بحق المدنيين الفلسطينيين.

❖❖ فديريكو:

أنا أدين هذا العمل الإجرامي الذي تقوم به الحكومة الإسرائيلية بمحاصرة كنيسة المهد، وعلى الكنيسة بشكل أساسي ومن ثم المجتمع الدولي الضغط على إسرائيل من أجل فك حصارها الهمجي عن هذا الموقع الديني الهام احتراما لمشاعر ملايين المسيحيين في العالم.

الاتحاد الأوروبي والصراع العربي - الإسرائيلي

محمد صوان

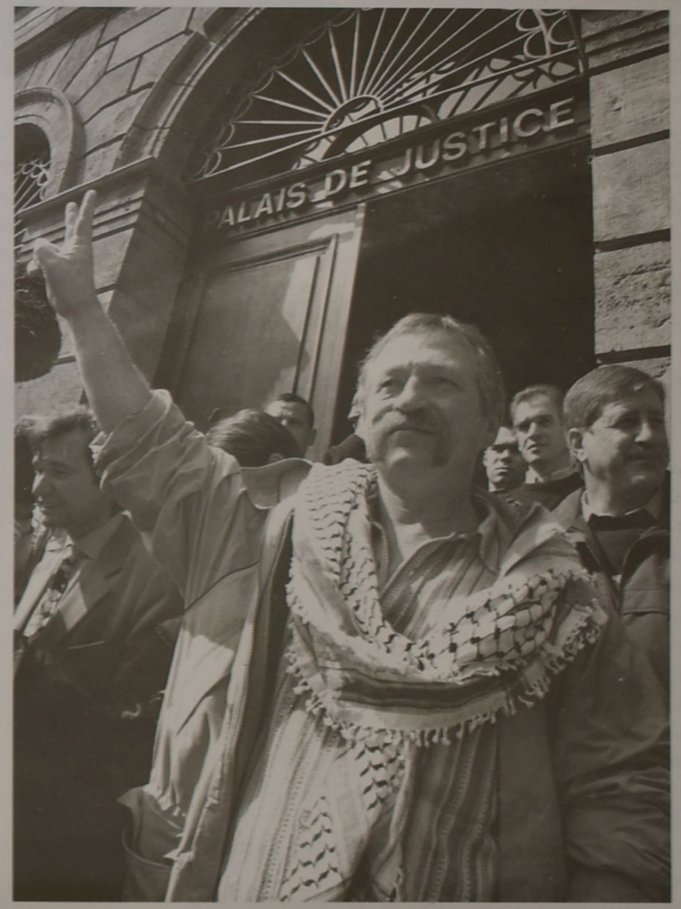

رغم تفاوت الموقف الأوروبي حيال إمكانية اتخاذ إجراء حاسم ضد العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني، وضعف احتمالات إلغاء المزايا التفصيلية التي يمنحها اتفاق الشراكة الأوروبية لـ «إسرائيل»، فإن تقدماً إيجابياً لا يمكن تجاهله بل تحفيزه والبناء عليه، ولا سيما في ضوء الدعم الواسع الذي أظهره الشارع الأوربي للشعب الفلسطيني في محنته بمواجهة الاعتداء الوحشي الإسرائيلي، والذي ترجمه البرلمان الأوروبي بالدعوة إلى تعليق اتفاق الشراكة مع إسرائيل، المبرم قبل ست سنوات رغم أن القرار غير ملزم للحكومات الأوروبية، ولم تقترح سوى دولة واحدة في الاتحاد تعليق الاتفاق هي بلجيكا.

إن الفجوة القائمة بين النشاط الأوروبي الفعلي بالنسبة للقطيعة الفلسطينية وقدراتها الفعلية على التأثير في سياسات الشرق الأوسط كانت مثار استياء الكثير من الأوروبيين. ومن ناحية أخرى هناك أيضاً، استياء الاتحاد الأوروبي من تهميش دوره بالنسبة لعملية السلام على الرغم من كونه الممول الرئيسي لها.. وعلى الرغم من هذا وذاك، إلا أن الاتحاد الأوروبي لم يمارس دوراً سياسياً فعالاً إزاء الصراع الجاري على الأرض الفلسطينية سوى مجرد بعض التصريحات التي صدرت عن الاتحاد في هذا الصدد. وذلك يعود إلى عدة أسباب:

- الدولة الأوربية لا تمتلك القدرة ولا التأثير الحاسم اللذين تتمتع بهما الولايات المتحدة. وقد بدأ بالفعل هذا التهميش مع مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١، عندما أعطي الاتحاد الأوروبي دوراً هامشياً للغاية في فعاليات المؤتمر بل إن هذا الدور قد انعدم تماماً في المفاوضات الثنائية التي تلت ذلك. وتمت دعوته فقط للمشاركة في المباحثات «متعددة الأطراف». وعلى الرغم من أن الاتحاد الأوروبي ليس بمكانة ودور الولايات المتحدة في إدارة العملية السلمية وخاصة بالنسبة للإيفاء بالاحتياجات السياسية والاقتصادية للأطراف المتفاوضة. إلا أن الاتحاد بإمكانه أن يلعب دوراً موازياً لتفرد الولايات المتحدة في المساعدة في تشكيل أولويات وتوجهات عملية السلام في المستقبل. ذلك لأن تدخل الاتحاد الأوروبي المباشر في عملية السلام هو المدخل لإنقاذ برنامج برشلونة. ولتحقيق ذلك ينبغي على الاتحاد الأوروبي أن يحفظ التوازن بين دوره في تنسيق العمل مع الولايات المتحدة وبين إطلاق مبادرات جديدة مستقلة.

- هناك اختلاف كبير بين وجهتي نظر كل من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي بالنسبة للصراع العربي - الإسرائيلي، ويتمثل هذا الاختلاف في أن الاتحاد لا يرى موضوع الأمن بالنسبة لإسرائيل أولوية ملحة، رغم تأكيده على الالتزام بوجود إسرائيل كدولة شرق أوسطية إلا أنه لا يرى هناك تهديداً لأمن إسرائيل من قبل القوة العربية العسكرية أو السياسية. كون ميزان القوة السياسي والعسكري راجح لصالح إسرائيل خلال الثلاثين عاماً الماضية، وهذا هو السبب المباشر وراء اتجاهات الاتحاد الواضحة لصالح الفلسطينيين.

- لا يزال الاتحاد الأوروبي عاجزاً عن وضع تعريف واضح لمصالحه في الشرق الأوسط

وفي صياغة سياسة خارجية واضحة، نظراً لوجود الكثير من الانقسامات الداخلية في هياكله التنظيمية. وفي الممارسة أصبحت عملية السلام في ذيل قائمة الاهتمام للكثير من الدول الأوروبية.

- طغيان حالة التفكك والهوان العربية. من ناحية أخرى. لم تساعد على فرض أهمية وجود الأوروبيين في آلية التفاوض العربي - الإسرائيلي.

- تقوم كلاً من الولايات المتحدة وإسرائيل بفرض تقسيم الأدوار. حيث تلعب الولايات المتحدة دور الوسيط الخارجي - المنحاز وغير النزيه - بين أطراف الصراع. بينما يقوم الاتحاد الأوروبي بتوفير أكبر قدر من المساعدات المالية اللازمة لعقد أي اتفاق يصل إليه الأطراف. وكما يفسر السفير المتجول موراتينوس: «إن الأوروبيين يريدون أن يقوموا بدور اللاعبين لا بدور المعولين فقط».

- مناهضة إسرائيل لأي تدخل سياسي أوروبي في شؤون صراعها مع العرب. وذلك لاعتقادها بتحيز أوروبا نحو العرب عامة والفلسطينيين خاصة. ولدحض هذا الزعم يشير رئيس المفوضية الأوروبية برودي: «إذا كان الإسرائيليون يعتقدون في تحيز أوروبا نحو العرب، فإن العرب بالمثل يرون في الولايات المتحدة طرفاً متحيزاً لإسرائيل. من هنا كانت سلسلة الاتفاقات الاقتصادية والعملية التي عقدت مؤخراً بين إسرائيل والاتحاد الأوروبي للتأكيد على عدم تحيزه لصالح العرب ضد إسرائيل.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: لماذا لم تحقق الشراكة الأوروبية متوسطية النجاح الذي كان متوقعاً أن تحققه عند بداية انطلاقها؟

وتبدو الإجابة على هذا السؤال في حقيقة واضحة وهي: أنه بدخول مفاوضات السلام الطريق المسدود. وبالتالي اندلاع دوامة العنف على يد الإرهابي شارون. يصبح على الأوروبيين إدراك إن كان هناك علاقة وطيدة بين برنامج برشلونة ومرجعية مدريد! ولذلك لا يمكن الفصل بين عملية السلام والشراكة الأورومتوسطية. فبمجرد دخول المفاوضات مراحلها الصعبة كما هو الحال منذ صعود شارون إلى رأس السلطة في إسرائيل. دب العجز في هذه الشراكة. ومن ثم استحالة إحراز أي تقدم خاصة على صعيد استكمال قضايا الحل النهائي. «السيادة، القدس، حق العودة، تفكيك المستوطنات».

من هنا كان الربط بين نجاح كل من الشراكة وعملية السلام الشرق أوسطية. وكما يذكر المحللون المختصون فإن أوروبا معنية في المقام الأول بتحقيق الاستقرار في منطقة المتوسط، سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو الأمني. تأتي عملية تأمين حق تقرير المصير والاستقلال الناجز للشعب الفلسطيني على رأس أجندة الاستقرار فهي تعد أصعب مشاكل المنطقة التي إن لم يتم حلها تتضاءل معها الآمال بتحقيق الاستقرار في المنطقة.

ولا يخفى على أحد خطورة الوضع في الشرق الأوسط، فإن عدم الثقة أصبح يحكم العلاقات. كما أصبح العنف جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية في المنطقة. ولا يستبعد المحللون توسيع رقعة الحرب إلى ما هو أبعد من حدود الأراضي الفلسطينية المحتلة. إلا أن جميع الأطراف تدرك في نفس الوقت أن برنامج برشلونة هو المنبر الأصلح المتاح من أجل إقامة تعاون سياسي واقتصادي أورومتوسطي. ذلك لأن أي تعاون اقتصادي مرتبط بنجاح عملية السلام. وتمتلك أوروبا الوسائل اللازمة لممارسة الضغط على إسرائيل إذا أرادت هي ذلك، نظراً للعلاقات الاقتصادية التي تربط بينهما. ناهيك عن العلاقات السياسية.

فنزويلا

عداء إمبريالي أمريكي مبكر

الياس بدّور - خاص بالهدف كاراكاس

منذ أن أعلنت الإمبريالية عن قيام نظامها الدولي الجديد، وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي، والعالم يشهد تغيرات عاصفة ترافقت مع مزيد من الاستقرار ليس فقط في المحيط بل في المركز الإمبريالي. حيث ومنذ الهجوم الذي وقع على ناطحات السحاب في نيويورك انتهى الاستثناء الإمبريالي الأمريكي الذي تمثل بعدم تعرض الولايات المتحدة لأي هجوم منذ عام ١٩٤٥؛ أي منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، رغم خوضها لحروب مدمرة ضد أكثر من بلد، وخاصة فيتنام، حيث قتلت الإمبريالية في هذا البلد أكثر من خمسه ملايين مواطن، فعلى الرغم أنها لم تتحمل مسؤولية هذا الهجوم أي جهة بشكل رسمي وواضح، إلا أن الولايات المتحدة تصرفت وكأنها ليست بحاجة إلى شهادة أحد، بل إلى الحدث بحد ذاته، وهذا ما زال يعكس نفسه سلباً عليها في أوساط العديد من القطاعات الشعبية على الصعيد العالمي بل وفي أوساط العديد من حلفاؤها أيضا، إن غزو أفغانستان لم يخطط له نتيجة لهذا الهجوم، وإن حدث فعلاً بعد وقوعه، حيث أن الصراع على منطقة وسط آسيا وبحر قزوين ليس حديث العهد، فهو حتى أبعد من فتره التدخل السوفيتي في هذا البلد، مع نهاية السبعينات، إن الأزمة العامة التي تعيشها الإمبريالية وخاصة الأمريكية، والتي تضرب كافه المجالات، لا تعني أنها فقدت قوتها أو مقدرتها على تنظيم شؤونها رغم الفوضى الاجتماعية التي تعم هذه البلدان. إن امتلاكها لدرجة عالية من المقدرة على التنظيم توفر لها إمكانية استغلال الأحداث واستثمارها عند وجود المبررات والذرائع لتنفيذ استراتيجيتها ومخططاتها، فهي لا تتصرف بردة فعل، وعدوانيتها ليست مفتعلة، أو مؤقتة بل أصيلة ومن طبيعتها، ومن الملاحظ أنها تحاول أن تستبق الصراعات في أكثر من منطقه من العالم عن طريق تعميق الفرز على قاعدة من ليس معنا فهو ضدنا، ومن ليس معنا فهو مع الإرهاب، فهي الآن وبعد انتهاء ما كانت تسميه بالخطر الشيوعي تستعمل ما تطلق عليه مكافحة المخدرات ومكافحة الإرهاب كميكانيزم لذات الاستراتيجية، فهي تختار حق استعمال هذه الذريعة أو تلك أو كلاهما معا. إن تصرف الإمبريالية الأمريكية الجنوني هذا يعكس خوفها من التطورات اللاحقة على الصعيد العالمي، والحشد السريع في مراكز القوى الاقتصادية أولاً ومن ثم السياسية، إن النظام الدولي الجديد عملياً، لم تنطلق عجلاته رغم وضع الولايات المتحدة كل إمكانياتها في سبيل ذلك وأخذ التململ على صعيد دول المحيط يتم بشكل متسارع لم تكن تتوقعه، وأخذت العديد من الدول ولأسباب مختلفة بما فيها حلفاء أمريكا الشمالية والأوروبية والروس يعلنون عن رفضهم لنظام القطب الواحد، ووصلت الأمور عند الصين، فنزويلا، روسيا، العراق.. إلخ، أن البروز الجديد للأزمة في الولايات المتحدة، والتي تتمثل بانخفاض معدلات النمو الاقتصادي وارتفاع نسبه البطالة ٥٠١٪ والركود وارتفاع وتائر التضخم المالي وارتفاع أسعار النفط ومصادر الطاقة الأخرى، زاد من ارتفاع وتيرة الخلافات بين الدول الرأسمالية الصناعية الكبرى كنتيجة للتنافس على الأسواق العالمية بشقيها، مصادر المواد الخام والاستهلاكية، رغم أن هذه الخلافات مازالت ضمن نطاق السيطرة على المدى المنظور إلا أنها مرشحة لمزيد من التفاقم ستصل إلى حدود التوتر، إن المرحلة الجديدة مرحلة ما بعد الاتحاد السوفيتي، تؤشر إلى الصعود المتسارع لدور الصين الشعبية في المجالين الاقتصادي والسياسي، فهي تتميز عن الاتحاد السوفيتي السابق بأنها كدولة شيوعية، تدخل إلى العالم من باب المنافسة وليس فقط من باب الأيديولوجيا، إنها تطرح نفسها كنموذج اقتصادي سياسي أيديولوجي، أي كنموذج متكامل بديل عن الرأسمالية المتوحشة، الليبرالية الجديدة، أما فيما يتعلق بالعامل التكنولوجي، فلم يعد حكرا على أحد، ليس فقط استعمالها بل تطويرها، لكل هذه الاعتبارات أخذت الإمبريالية الأمريكية تلجأ إلى العصا الغليظة مباشرة، وبشكل اعتباطي، يفقدها شرعية وأهلية قيادتها للعالم كنموذج.. هنا تكمن أهمية معرفة تفصيل ما يدور في القارات الثلاث، والتي تندرج ضمن تسمية العالم الثالث، أمريكا اللاتينية آسيا أفريقيا.

في هذه المقالة سيتم تناول وضع أمريكا اللاتينية من خلال دراسة وضع فنزويلا التي هي الحلقة المركزية والمفصل الأساسي في سياسات الرجعيات المحلية وسيدها الولايات المتحدة.

أرض فنزويلا تعتبر وبحق أحد أهم الدول التي تخوض الولايات المتحدة عليها حرب استراتيجية، بنفس مفهوم وأسلوب الحرب الباردة، ولكن لماذا فنزويلا؟

هذا البلد تبلغ مساحته ما يقارب المليون كم ٩٤٥ ألف كم بالضبط، تطل على البحر الكاريبي وتفصله عن كوبا الصامدة بعض الجزر وبضعة كيلو مترات في البحر، له حدود مع البرازيل ومع كولومبيا التي يدور فيها صراع مسلح وحرب أهلية من أجل السلطة منذ أكثر من ٤٠ عاماً، بين الحكومة الرسمية والقوات المسلحة الثورية اليسارية، هذه القوات تزداد قوتها العسكرية باستمرار، ويتصاعد نفوذها الجماهيري في أوساط الشعب الكولومبي، وخاصة في مناطق الريف، أما البرازيل فهي أكبر بلد لاتيني عدد سكانه ١٦٠ مليون نسمة، وتعتبر دولة صناعية متطورة، تحاول أن تقفز إلى عداد الدول الصناعية الكبرى..

إن هذا الموقع الإستراتيجي لفنزويلا يضاف له أهميتها الاقتصادية حيث هي أول مصدر للنفط في أمريكا اللاتينية، وثاني أكبر دولة في منظمة الدول المصدرة للنفط أوبك بعد العربية السعودية، وتعد أهم مصادر المواد الخام الأساسية على نطاق عالمي «الحديد، الفضة، النحاس، النيكل، الذهب، الغاز، الألمينوم» وتحتوي أراضيها على مساحات شاسعة صالحة للزراعة لم تستغل لحد الآن رغم كثافة مصادر المياه وغزارة الأمطار في فصل الشتاء. هذا البلد اللاتيني حصل على استقلاله عام ١٨٢١ على يد محررها سيمون بوليفر الذي حرر في نفس الوقت ما كان يطلق عليه كولومبيا الكبرى «بوليفا، الأكوادور، البيرو، كولومبيا وفينزويلا» فمنذ تلك الفترة حتى أواسط الخمسينات من القرن الماضي لم يشهد هذا البلد أي صراعات أو حروب داخلية أو حدودية، رغم قيام العديد من الانتفاضات والنضالات من أجل توزيع الأراضي وملكيتها، ومن أجل العدالة الاجتماعية.

النضال في طابعه العام أخذت تتصاعد وتيرته حتى عام ١٩٤٥، حيث وقع انقلاب عسكري بقياده الديكتاتور بيرس هيمينيز، ورغم دموية هذا النظام إلا أنه لم يستطع أن يحد من نمو وتصاعد النضالات بما فيها الشعبية ضده، وثم إسقاطه بعد ١٣ سنه على يد القوى الوطنية والديمقراطية بشكل عام، أما القوى التي تربعت على سدة الحكم فقد تخلت عن وعودها بإجراء انتخابات حرة وديمقراطية وأخذت تبلور تحالفاتها مع القوى الأكثر رجعية وفاشية، وأوقعت البلاد في أول حرب أهلية استمرت حتى أواسط الستينات تقريباً، هذا المعسكر كان بقيادة حزب العمل الديمقراطي، الذي كان يعتبر نفسه من الاشتراكية الديمقراطية والدولية، إن سياسة العداء للشيوعية نابعة من الخوف من وصول أعداد كبيرة من ممثلي هذا الحزب إلى البرلمان «الحزب الشيوعي الفنزويلي» حيث كان يتمتع بنفوذ جماهيري قوي وخاصة في أوساط العمال والفلاحين، فبواسطة الحرب الأهلية التي كان الحزب يرفضها في تلك الفترة تم ضرب الحزب وتحجيم قوته.. وهكذا ثبت نظام تبادل السلطة بين الحزبين اليمينين الأساسيين الحزب الديمقراطي والحزب الاجتماعي المسيحي، والذي استمر حتى عام ١٩٩٨. كما باقي الدول النفطية عاشت البلاد أفضل أيامها حتى نهاية السبعينات، حيث شهدت ازدهارا في العمران وطرق المواصلات والصناعات التركيبية واستخراج المعادن.. إلخ.

مع بداية الثمانينات دخلت البلاد في أزمة اقتصادية خانقة مازالت تفاعلاتها قائمة تمثلت بهبوط قيمة العملة المحلية مقابل الدولار، وارتفاع معدلات التضخم والبطالة، هذه الأوضاع شكلت الأرضية الخصبة لبداية تنظيم الضباط داخل الجيش، حيث تم تأسيس الحركة الثورية البولفارية ٢٠٠ عام ١٩٨١، بشكل سري. مع نهاية الثمانينيات وصلت الأزمة الاقتصادية إلى مستوى خطير بسب الانصياع الكامل لشروط البنك الدولي وصندوق النقد، وفي ظل ازدياد المديونية الخارجية والداخلية للدولة تضعضعت المقدرة الشرائية للطبقات العمالية والفلاحية والبرجوازية الصغيرة، مما أدى إلى انتفاضة ٢٧ شباط عام ١٩٨٩ حيث سقط آلاف القتلى والجرحى على يد القوات المسلحة في عهد الرئيس كارلو أندريس بيريس، في هذه الفترة ازدادت قوة التنظيم السري داخل الجيش وأخذ يعد لانقلاب عسكري للإطاحة بالنظام، وفعلاً تم القيام بمحاولة في ٤ شباط عام ١٩٩٢ ولكنها فشلت وهذا يعود إلى ثلاث أسباب:

أولا: عدم وجود خبرة لدى قيادة الحركة الثورية البوليفارية ٢٠٠ «ليس عسكرياً بل إدارياً وفنياً».

ثانيا: تفشى أسرار الخطة إلى سفارات الولايات المتحدة وإسرائيل قبل المحاولة بأيام قليلة، مما أفقدها عنصر المفاجئة لدى هذه الجهات وبالتالي لدى النظام.

ثالثا: عدم وجود انسجام بين أعضاء قياده الحركة، وعدم وجود اتفاق بينهم على أهداف واستراتيجية الحركة، حيث كان من يريد فقط الإطاحة بالرئيس كارلوس أندريس دون المساس بالنظام والمؤسسة «كاردينس» من يمثل هذا التيار وتيار آخر يقول بضرورة القضاء على مسببات الفساد والفقر والتي مهمته أصلا إنتاج النظام، العقيد شافيز كان يمثل هذا التيار وهو أصلا «مؤسس الحركة وزعيمها» هذا الضابط كان الأكثر وضوحا وحسماً للأمور. عندها فشل الانقلاب في السيطرة على القصر الجمهوري رغم نجاحه في العديد من الولايات. ومن ثم إلقاء القبض على شافيز، وجه هذا الأخير كلمة إلى القوات المسلحة وإلى الشعب قال فيها أنا أتحمل المسؤولية كاملة عن كل ما جرى، وأدعو زملائي إلى إلقاء السلاح تفادياً لمزيد من سفك الدماء لأن أهدافنا من المستحيل تحقيقها بالطرق العسكرية، ولكننا سنستمر في النضال في المستقبل، شافيز الذي لم يكن معروفا لدى جماهير الشعب أصبح ذا شهرة واسعة بعد توجيه هذا النداء، وظهوره على شاشات التلفزة. مكث في المعتقل منذ شباط ١٩٩٢ حتى أواسط ١٩٩٤. السجن وفر له فرصة ذهبية في القراءة ومراجعة العديد من الأمور مع نفسه، أي نقله إلى طور نوعي آخر من العمل في أوساط الجيش إلى العمل في أوساط الجماهير ومعها، حيث أن فشل الانقلاب لعب دوراً حاسما في حسم توجهاته اليسارية الثورية بشكل جذري، ولم تعد القيادة التي عمل معها في أوساط الجيش على مستوى الصف الأول، مستعدة جميعها أن تسير معه في هذا المشروع التغييري الاجتماعي السياسي والاقتصادي. عندما بدأت الحركة «البولفارية الثورية ٢٠٠» عملها الجماهيري لم تكن حاسمة لمسألة الوصول للسلطة سلميا، أي عن طريق الاقتراع. وقد لعب الدعم الجماهيري لشافيز دوراً حاسما في تغيير وجهة النظر هذه حيث كانت جميع الاستطلاعات تشير إلى تفوقه في حال ترشيح نفسه لمنصب الرئيس، وفعلاً، تم خوض انتخابات عام ١٩٩٨ التي تمت في أجواء من الجدل والحوار السياسي لم تشهده البلاد منذ عشرات السنين، واستطاع هزيمة مرشح جميع الأحزاب اليمينية والوسطية الانتهازية بفارق كبير، مما فتح أمامه الطريق لإجراء التغيرات الدستورية والقانونية في البلاد كأساس للتغير السياسي الاجتماعي والاقتصادي، حيث دعا لانتخابات أعضاء الجمعية التأسيسية وحصل على ما يقارب الـ ٩٠٪ من مجموع المرشحين، مما مكنه من إجراء تغيير دستوري شامل، وبإقرار دستور جديد للبلاد وحل البرلمان وإلغائه وتشكيل الجمعية الوطنية بدلاً منه. التي بمثابة الجهة

التشريعية. إن هذه المرحلة الأساسية والمهمة في تاريخ البلاد تم تجاوزها بنجاح كبير عندما تمت إعادة الانتخابات في جميع مؤسسات الدولة من الرئيس حتى رؤوساء المحافظات ونواب الجمعية الوطنية والمحافظات أيضا وقد تم إعادة انتخاب شافيز أو بالأحرى تم انتخابه لأول مرة، حسب دستور الجمهورية البوليفارية الفنزويلية «الاسم الجديد للبلاد» فقد دشنا بذلك بداية الجمهورية الخامسة معلنين بذلك انتهاء فترة طويلة من نظام ما سمي بالجمهورية الرابعة، أي جمهورية الفساد والرشوة وسرقة البلاد وتفشى الفقر والبطالة وغيرها من الأمراض الاجتماعية التي تحتاج البلاد إلى فتره طويلة من الزمن للتخلص من أسبابها ونتائجها.

إن من المسلم به هو أن الإمبريالية الأمريكية نصبت العداء المبكر لهذا القائد خوفا منه، ليس على فنزويلا ومصالحها الكبيرة فيها، بل على جميع بلدان القارة وبعض المحللين السياسيين والتاريخيين يقارنون بين صعود الراحل الكبير جمال عبد الناصر في مصر وتأثيره على الواقع العربي، وإن كان في ظروف مختلفة تماما، وصعود شافيز وإمكانية تأثيره على القارة اللاتينية، حيث هنالك العديد من القوى السياسية في جميع بلدان القارة تقريبا أخذت ترى في فنزويلا مكملا لها في الإسهام في تغيير واقع بلدانها، وها هي أخذت تشكل الحركات البوليفارية الثورية المحلية الشبيهة بالحركة البوليفارية الثورية في فنزويلا مثال «كولومبيا، شيلى» ليس هذا فقط فقد أعلن الرئيس شافيز رفضه لنظرية انتهاء التاريخ التي طرحها فوكو ياما بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وكذلك رفضه لنظرية نهاية الأيديولوجيا والليبرالية الجديدة ولإقامة السوق الحرة بين الأمريكيتين، كون هذه السوق في ظل عدم التوازن في النمو الاقتصادي وعدم مقدرة بضاعة أمريكا الجنوبية والوسطى على منافسة البضاعة الأمريكية ١٠٠٪ لصالح احتكارات أمريكا الشمالية والشركات الفوق قومية، وعلى الصعيد الدولي ألغى صفقة أسلحة كانت الحكومات السابقة عقدتها مع إسرائيل، لأنها ليست ضرورية لأمن البلاد، وطور العلاقة مع الدول العربية وخاصة النفطية لإعادة إحياء منظمة الدول المصدرة للنفط أوبك، وهذا ما تم فعلا عندما استطاع وبقدرة فائقة على جمع أعضاء هذه المنظمة النفطية الوحيدة على صعيد عالمي في كاراكاس، الشيء الذي أسس ليس لارتفاع أسعار النفط فقط، بل للحفاظ على مستوى محدد لهذه الأسعار،

إن خرقه للحظر الإمبريالي المفروض على كل من كوبا والعراق وليبيا وإيران زاد من حدة التوتر حيث اعتبرته الولايات المتحدة تحدي لإرادتها لا يمكن أن تسكت عليه، لكل هذه الأسباب مجتمعة أخذت الولايات المتحدة تتدخل في شؤون البلاد عن طريق سفارتها هناك، وذلك بشكل مباشر من خلال قولها أن هنالك انتهاك للديمقراطية ولحرية الصحافة والحديث عن كوبنه فنزويلا وأقرت دعم مالي ولأول مرة للمعارضة في هذه البلاد، سواء الموجودة في أراضيها أو داخل فنزويلا رغم كل هذه الضغوطات والتهديدات المبطنة منعت حكومة فنزويلا الطيران الحربي الأمريكي الشمالي من الدخول في أجوائها واستعمالها بدون إذن مسبق من حكومة فنزويلا، حيث كانت الولايات المتحدة تساعد حكومة كولومبيا عسكريا في حربها ضد الثوار الذين يناضلون من أجل استلام السلطة وإنهاء الهيمنة الإمبريالية على مقدرات البلاد وخاصة النفطية، إذا هناك العديد من الأسباب التي تجعل الإمبريالية تقف ضد النظام الثوري التقدمي في فنزويلا، وكذلك توجد عوامل جوهرية لكي تقف كافة القوى التقدمية والمناضلة على مستوى إقليمي وعالمي إلى جانب هذا النظام الذي يخوض تجربة رائدة عنوانها التصدي لأعداء الوطن، والبناء الداخلي المتمثل بإعادة إعمار الاقتصاد والمؤسسات التي دمرتها قوى اليمين الرجعي السابقة التي سيطرت على البلاد لمدة ٤٠ عاما.

على المستوى العربي بشكل خاص، هناك أسباب جوهرية لدعم هذا النظام كونه بالأساس حليف لنا في نضالنا ضد نفس الأعداء، وكبلد نفطي وعضو هام في منظمه الدول المصدرة للنفط أوبك يفرض على الجالية العربية في هذه البلاد والتي يصل تعدادها إلى ما يقارب الـ ٧٠٠ ألف نسمة أن تقف إلى جانب النظام والرئيس، وأن تضع المصلحة الوطنية والقومية للشعبين الفنزويلي والعربي فوق كل اعتبار، وفوق المصلحة الشخصية الضيقة، مع العلم أن المصلحتين الوطنية والشخصية متكاملتين ومتلاصقتين في إطار استراتيجية واحدة، من هنا يجب التفكير الجدي في مسألة البداية بتشكيل اللجنة العالمية للدفاع عن عمليه التغير الثورية البوليفارية الفنزويلية ودعمها حيث ليس من قبيل الصدفة أن يكون حاخام كاراكس وممثل السفارة الإسرائيلية ركني الصهيونية في الخارج يتصدران الأطراف التي أعلنت عن تشكيل التحالف ضد شافيز. وإن هذا الدور يثبت بشكل ملموس بأن خطر الصهيونية ليس فقط ضد الشعب الفلسطيني والشعوب العربية بل ضد كل الشعوب الطامحة إلى التخلص من الهيمنة الإمبريالية، وتناضل من أجل الحرية والتقدم، ولهذا فإن مكافحتها هي مهمة عالمية ملحة لا تحتمل التأجيل، هنا يجب على فصائل العمل الوطني والقومي العربية في شتى بقاع الأرض أن تلعب دورا أساسيا وطليعيا في هذا المجال بسبب خبرتها وامتلاكها للمعلومات عن هذا العدو، الشيء الذي تفتقد له نسبيا قوى تقدمية وثورية على صعيد عالمي.

منيم جنين - الشهيد يكرس ثقافة المقاومة!

سوف يسجل التاريخ الملحمة البطولية، التي سطرها المقاومون الفلسطينيون في مخيم «جنين» الشهيد، الذين قاوموا بأجسادهم على مدى اثني عشر يوما، واحداً من أعتى جيوش العالم، المدجج بأحدث الأسلحة الفتاكة.

ورغم صور الفظاعات التي نقلتها شاشات التلفزة، إلاّ أن تفاصيل اللوحة لم تظهر بعد، وقصة جنين لن تكون كغيرها من الأحداث العابرة، لأنها تمثل التكثيف الأشد تعبيرا عن عمق هذا الصراع المرير الدامي، المستمر منذ أكثر من قرن، ولعل الجديد في الاجتياحات النازية الجديدة لجنين وبيت لحم ونابلس وباقي المدن والبلدات الفلسطينية، هو سقوط ورقة التوت التي كانت تستر الوجه الأكثر بشاعة وبطشا ووحشية لهؤلاء الأفاقين الذين يدعون الحضارية واحترام حقوق الإنسان والديمقراطية.. هؤلاء الذين فعلوا ما لم تفعله النازية، عندما منعوا دفن الشهداء، وإسعاف الجرحى، وهدموا المنازل فوق رؤوس الأحياء، وعاثوا فسادا في الأرض والشجر والهواء.. وبالمقابل أظهرت تلك المواجهات، مدى إيمان الفلسطيني بحقه العادل، المشروع، وإصراره على المقاومة حتى الرمق الأخير، من أجل تحقيق أحلامه العادلة بالعودة والحرية والاستقلال.

السؤال البسيط الذي يطرح نفسه الآن: هل يستطيع جنرالات هذا الجيش اليوم إذا كان لديهم «بقية من شرف الجندية» أن يتفاخروا بالانتصار الذي حققوه؟ وأي انتصار هذا الذي حققوه على بضع عشرات من المقاتلين، استطاعوا كشف عورتهم، وتحطيم أسطورة جيشهم، وتمريغ أنوفهم بالوحل، مما يفسر حجم الحقد والكراهية والانتقام الوحشي الذي رافق جرائمهم التي تصنف بامتياز: جرائم حرب ضد الإنسانية، هزت الضمير الإنساني الحي في كل مكان من العالم.

نحن إذن، أمام مجازر بشعة لم يسجل التاريخ مثيلا لها، تجري بتغطية الدولة الأعظم التي تعمل على العولمة العسكرية للعالم، وبتواطؤ العالم الغربي، وصمت النظام الرسمي العربي.. بيد أن دروس هذه المواجهة وتفاعلاتها لم تظهر بعد.. فعلى الأقل ثمة مؤشرواضح لأفول عصر الركوع.. والإذعان للأمر الواقع، يتمثل في بدايات النهوض.. وشيوع ثقافة المقاومة، التي سوف تزلزل الأرض تحت أقدام المتخاذلين.. وتفتح الأفق لمواجهة تاريخية شاملة مع هذا الكيان المسخ ودولته العظمى الحامية.

عصر الذل والاستكانة انتهى.. وعصر المقاومة بدأ.. والمسألة ليست مجرد شعارات، والمثال - الفعل اليوم هو: مخيم جنين - الشهيد، رغم فداحة الخسران.

ثقافة وفنون

دلالات الصهيونية في قراءة مرتبكة

د. فيصل دراج

يختلف انفعال إنسان في قلب مظاهرة صاخبة عن انفعال آخر ينظر إليها من شرفة عالية. بهذه اللغة الميسورة شرح فيلسوف فرنسي، وبشيء من السخرية، صفحات بالغة التعقيد من كتاب «الوجود والعدم» لجان بول سارتر. إذا وضعنا السخرية جانبا، كان في كلام لوسيان سيف ما ينطبق على موقف المثقف الوطني الفلسطيني من الصهيونية ولا ينطبق، لزوماً. على موقف غيره. ومع أن جمال حمدان وسمير أمين وحليم بركات وسعد الله ونوس وغيرهم كتبوا صفحات نيرة وعميقة عن الصهيونية، فإن ما جاء به غسان كنفاني في «عائد إلى حيفا» يضيء من جديد، انفعال الإنسان الموجود في قلب المظاهرة. وقف غسان، وللمرة لأولى في الرواية العربية، أمام صهيوني محدد الاسم والعمل والمسار، بعيداً عن تجريد تبسيطي عربي مسيطر، كما لو كان كنفاني يعترف بالوجود الصهيوني كي يعرف، وبشكل مشخص، سبل مواجهته، دون شعارات وفائض لغوي. ولأنه تعامل مع عسكري صهيوني مشخص، لا ترديه لغة الوعيد قتيلاً كان على غسان، الذي لم يقف على «الشرفة العالية»، أبداً، أن يكتب مرتبكاً وأن يرتبك وهو يتمرد على مقاييسك مجردة.

تنطوي «عائد إلى حيفا»، وهي تتأمل حوار العدل والقوة العقيعاد. تحكي الأفكار الأربعة عن فتنة المنتصر، التي تغوي المنهزم بالمحاكاة والتقليد، كما لو كان العدو المنتصر معلماً مضمراً لمن هزمه. وواقع الأمر أن غسان، الذي انزاح عن المجرد إلى المشخص، ينتهي إلى مقايسة شكلانية، عناصرها القتال والإيمان والهزيمة والانتصار والاستعداد والتراخي، أي أنه يذيب الصراع كله في دائرة القيم كي يصل، وهماً إلى نقيضين متساويين. تستأنف هذه المقايسة إشكال الصهيونية المكتفية بذاتها، التي جاءت، بشكل متلعثم، على قلم الخالدي ونصار، وقد أضاف إليها الحصار الفلسطيني المتجدد إمكانية المضطهدين، التي تضيف إلى الواقع المشخص عناصر ليست منه وإلى الفلسطيني الفعلي فلسطينياً آخر «واجب الوجود».

لم يكن غسان المثقف الفلسطيني الوحيد الذي أربكته فتنة المنتصر. فقبله بعقود أسهب الخالدي في وصف التنظيم الصهيوني الدؤوب، وهجس نصار بـ «جامعة فلسطينية» هي الوجه الآخر لـ «المؤتمر الصهيوني»، وحلم السكاكيني بـ «وتشيلد فلسطيني» يغدق أمواله على عمل وطني فلسطيني منظم. وسيأتي زمن لاحق يتحدث فيه فلسطينيون كثيرون عن «المال الفلسطيني»، و«الإعلام الفلسطيني»، اللذين يرقان على المال والإعلام الصهيونيين، مما حمل صادق العظم أن يكتب دراسة إنجليزية، وباستفزاز ومغالاة كعادته، عن «الصهيونية الفلسطينية»، أو ما هو قريب من ذلك. في هذا الموقف الفلسطيني المتجدد من المشروع الصهيوني، كان الفلسطيني يتقمص، ولو بقدر، أشياء من نقيضه. ومع أن على الإنسان النبيه أن يتعلم كلما أتاحت الفرصة له ذلك، فإن افتتان الفلسطيني بنقيضه، ولو بقدر، يفضي إلى هزيمة جديدة، لأن مقاتلة الخصم لا تتم على أرضه، بل فوق أرض جديدة غريبة عنه. تحدث جبرا ابراهيم جبرا مرة عن أقفاص تطارد الأجنحة. ربما يكون في فتنة المنتصر أشياء من هذه المطاردة المرعبة، خاصة حين يكون القفص قد أعاق الأجنحة عن الطيران فترة طويلة.

على مسافة من إنسان غسان، الذي عليه أن يكون سيد موته بعد أن فاته أن يكون سيد ميلاده، كان يقف فلسطيني آخر يستولد النصر من أسطورة الأصول. فلسطيني ولد نصره منذ زمن طويل ونسيه وما عليه، وكما تقول فلسفة الفيض والإشراق، إلا أن يتذكر نصره القديم حتى يعود نصره إليه، جميلا وكاملا كان.

ارتاح دروزة، كما أشرنا، إلى لاهوت الأصل، فشرح به الشر الصهيوني الحديث، وشرح به أيضاسبل تحرير فلسطين. فمثلما أن للصهيونية، وهي نقيض العروبة، أصلها القديم، فإن للعروبة، وفلسطين منها، أصلا تليدا توطد في غابر الزمن. وفي غابر الزمن صارع الأصلان، وخرج الأصل العربي منتصراً. بهذا المعنى تكون الصهيونية مهزومة بـ «القوة» لأن أصلها انهزم بـ «الفعل» في الزمن المقدس القديم وشفاء فلسطين في لاهوت الأصول، جاهز مرتين، جاهز في الأصل العربي القديم الذي يعود منتصراً وجاهز في الأصل اليهودي القديم، الذي يظل مهزوماً كما كان، حتى لو بدا للعيان منتصراً، ولو إلى حين. تصبح دراسة الصهيونية، في حكاية الخير والشر، نافلة، ويغدو التاريخ زائداً والسياسة مستحيلة، بعد أن فقدت التاريخ المشخص الذي تحتاج إليه. لذا لن يكون جهاد الفلسطيني ضد الصهيونية الحديثة إلا جهاده العنيف لاستعادة جوهره القديم. شيء قريب من التصور الأسطوري للعالم، الذي يشرح أمراض الوجود بالابتعاد عن الأصل، وصحة الوجود بالاقتراب من «البدايات» الجليلة الأولى. إنه فولكلور المضطهدين الذي يلغي الأزمنة التاريخية كلها، مستبقياً زمناً وحيداً لم يره أحد، هو زمن الغبطة المتخيلة الأزلي.

اخترق الارتباك الخطاب الفلسطيني عن الصهيونية بأشكال مختلفة، في البدء جاء الخالدي بفكرتين، تساوي الأولى بين الزمن اللاسامي والزمن الصهيوني، وتربط الثانية بين الصهيونية والحركات القومية الحديثة. والفكرتان لا تنقضان الصهيونية في شيء. تبدو الصهيونية، في خطاب الخالدي، حدثا تاريخيا مكتفيا بذاته، يوافق تاريخا «قوميا» يهوديا مكتفيا بذاته أيضا. ورث تصور «الحدث المكتفي بذاته»، وبلمعان أقل، نجيب نصار، الذي حارب الصهيونية بلا هوادة، وردعلى ادعاءاتها الدينية، وفصل الزمن الصهيوني عن الزمن الأوروبي فصلاً كاملاً بل إن إعجابه بشكسبير أنزل عليه خيبة كبرى حين فوجئ بقرار «أمة شكسبير» بإصدار وعد بلفور. ولهذا، بقي نصار في الإشكال اليهودي دون أن يمس الإشكال الصهيوني أبدا. ولن يتبقى لنجيب نصار، والحالة هذه، إلا الذهاب في اتجاهين: الرد على قدم الوجود اليهودي في فلسطين باستدعاء عراقة عربية قديمة، وهو ما يأخذ بيده، دون أن يدري، إلى «أرض نظرية» حددها الخصم، تخومها

الشرعية القديمة والشرعية الجديدة، التي لا تفضي إلى شيء. أما الاتجاه الثاني فينتهي، منطقياً، إلى عدوانية الشعب اليهودي الجوهرية، التي ستضع نصار في منعطف دروزة، رغم اختلاف الرجلين في أشياء كثيرة.

حين ندد السكاكيني بأوروبا الاستعمارية أخذ عليها أن: «تكون آلة في يد اليهود»، كما قال. يفصل المربي الفلسطيني الكبير بين الاستعمار الأوروبي والمشروع الصهيوني، ويكون الأول نتيجة ضعف أخلاقي أوروبي يضع الأوروبيين فوق غيرهم من البشر، ويكون الثاني نتيجة لقبول الأوروبيين بالتسلط اليهودي عليهم. وفي الحالين يظل مفهوم الاستعمار، بمعناه الحديث، غائباً عن محاكمة السكاكيني، وهكذا تتحول «الأمة الإسرائيلية» إلى أمة غامضة، تسيطر على الأوروبيين الذين يسيطرون على الشرق. لم يستطع السكاكيني، وهو يحول «الأمة الإسرائيلية» إلى أمة غامضة، أن يدرج مشروعها في الأيديولوجيا الانتصارية الأوروبية المسيطرة، التي تحض على «اكتشاف العالم» و«تمدين الإنسان البدائي» و«استصلاح الأراضي البائرة»، ولم يقدر، وهو ينظر إلى أمريكا بإعجاب، على قراءة الأيديولوجيا الأمريكية التي، وهي تقدس «رواد الغرب المتوحش» تنظر بعطف شديد إلى اليهود الذين يكتشفون «شرقاً متوحشاً» يحتاج إلى التمدين أيضاً، اتكاء على تصور «الأمة الغامضة» كره السكاكيني أوروبا، ولم يكره «الأمة الإسرائيلية»، إلا لأنها تزاحمه في وطنه. ولعل تأمل جملة السكاكيني: «إنني شرقي قبل كل شيء» تكشف عن موقفه القلق من الصهيونية. فهو يعترف بـ «الأمة الإسرائيلية» ويرفضها، بل يرفضها وهو يتعاطف مع «آلام اليهود»، دون أن يضعها في الغرب أو ينسبها إلى الشرق، كما لو كانت كياناً خاصاً يقف في لا مكان. يشي وعي السكاكيني بقلقه، مرة أخرى، وهو يستعمل كلمة «العربية» عوضاً عن مفهوم «القومية العربية» الذي لم يألفه بعد، وفي الحالات جميعاً، يكون الحس الوطني عند السكاكيني، وأقرانه لا يختلفون عنه، متقدماً على الوعي النظري، فيمضي إلى واجبه الوطني، تاركاً الكلمات الواضحة لزمن سعيد، لن يأتي أبداً.

تميزت القراءة الوطنية الفلسطينية للمشروع الصهيوني بصفات ثلاث أساسية: فهي صادرة، أولاً، عن نخبة ثقافية متعددة الميول، ينتمي إليها الأديب الدبلوماسي روحي الخالدي «١٩١٣ - ١٨٦٤» والمحامي الصحفي نجيب نصار «١٩٤٨ - ١٨٦٥ » والمربي اللغوي خليل السكاكيني «١٩٥٣ - ١٨٧٨» والمؤرخ الموظف محمد عزة دروزة «١٩٨٤ - ١٨٨٨» والأديب الصحفي المناضل غسان كنفاني «١٩٧٢ - ١٩٣٦» أعلنت هذه القراءة عن دور المثقف الطليعي في الكفاح الوطني، وعن تقليدية السياسي، بلغة معينة، وتخلف المتزعمين، بلغة أخرى. فمن المفترض أن يكون تأمل الصهيونية النظري ملازماً للسياسي الذي يقود فعلاً جماعياً لمواجهتها، وهذا لم يتحقق لأن السياسي أخطأ القيادة والعمل الوطني، وهو ما أقام بينه وبين المثقف هوة لا سبيل إلى ردمها.

تتعين الصفة الثانية بارتباك فكري. يأخذ بأدوات تحليل لا متجانسة. وتجلى الارتباك في عجز مزدوج: عجز نسبي عن تحديد الزمن التاريخي للصهيونية، الذي توزع على العهد القديم والزمن الأوروبي الحديث وأزمنة معاداة السامية. وعجز نسبي آخر عن وعي الصهيونية في علاقاتها كلها، فأظهرت أثراً لمعاداة اليهود وامتداداً لعدوانية قديمة ونتيجة لسيطرة يهودية على أوروبا في آن. كان هناك تصور متلعثم ينفي قومية بأخرى تارة، ودينا بآخر تارة أخرى، ودينا - قومية بدين - بقومية تارة ثالثة، وصولاً إلى نفي الغرب الظالم بشرق يحترم العدالة.

تأتي الصفة الثالثة من أولوية الممارسة الوطنية على التحليل النظري، فالمثقف، الذي كان مركز المبادرة الوطنية وخارج القرار السياسي، ما كان ينتظر الوضوح النظري، لينخرط في العمل الوطني. إن لم يكن، في ممارسته العملية، وهو يواجه الصهيونية، وضوح يفيض على الوعي النظري، ولا يستطيع الأخير أن يعطيه صيغته المكتوبة الموافقة. كان الخالدي يزور المستوطنات اليهودية «الوليدة»، ويحدد مساحتها وعدد سكانها وألوان مزروعاتها وحيواناتها وعدد التلاميذ في مدرستها وإنتاجها واستهلاكها وتصديرها.. بل عدد الأطباء المقيمين فيها. وكان في اللحظة عينها، يلتقي بأفراد «الجمعيات العربية» المناهضة للتتريك ويعمل على تشكيل جمعيات عربية لمناهضة الهجرة اليهودية. ونجيب نصار حوكم أكثر من مرة، وسجن واقترب من حبل المشنقة. واصطدم السكاكيني مع كل مسؤول إنجليزي، أو غيره، يمس بعروبة فلسطين، وهجر عمله واستقال أكثر من مرة، وعرف السجن والمهانة في السجن العثماني، أما دروزة، الذي لازمه لقب السكرتير، فكان مؤسساً رائداً في كل عمل وطني، إن لم يكن مصيره الذاتي، وحتى عام ١٩٤٨، هو تاريخ المحاولات المتجددة لإنقاذ فلسطين، كان في جدل الفكر والممارسة ما يترك الفكر الوطني طليقاً، قبل أن يأخذ بالانغلاق والتشتت، بعد إخفاق ثورة ١٩٣٦، الذي اقتلع جدران فلسطين وبواباتها.

الصهيوني في قراءات المنفى

حاول المثقفون، وقبل الاقتلاع، القيام بقراءتين متلازمتين: قراءة الصهيونية، وقراءة أحوال المجتمع الفلسطيني العاجز عن الرد عليها. كانت القراءة الأولى تكشف عن وهن المجتمع الفلسطيني، وكانت الثانية تضيء قوة غريبة وافدة من زمن آخر. وكان المثقف، في جدل التحريض والإحباط، يتعامل مع وجود صهيوني تصفعه آثاره المشخصة ويفتش، لاهثاً، عن مشخص فلسطيني فاعل، بدءاً من حق الفلسطيني في الحياة وصولاً إلى القيم العربية التليدة.

بعد الخروج الكبير، ولمدة عشرين عاماً على الأقل، انتهى تعامل الفكر الفلسطيني مع المشخص الصهيوني، وارتاح إلى أيديولوجيا عربية مسيطرة مثلت، عملياً، تقهقراً عن منظور المثقفين الفلسطينيين، قبل الخروج. أنجزت هذه الأيديولوجيا، في معظم حالاتها، خلقاً مزدوجاً: أعادت خلق صهيونية لا تعرفها بشكل يساوي بين الصهيونية المجهولة وهزيمتها الحتمية، وخلقت قومية عربية متضخمة الأبعاد يساوي انتصارها الحتمي القادم مجدها القديم المليء بالانتصارات. وفي هذا الخلق المزدوج، كان على الفلسطينيين، وهم جزء نظري من الواقع العربي، أن يلغوا اجتهادهم الذاتي، وأن يأخذوا باجتهاد تقوم به الأمة العربية جمعاء. بيد أن هذا الاستبدال، وهو حسن النوايا، كان يقوض الخطاب النقدي الفلسطيني، رغم عثاره، ويبني فوقه خطاباً تبشيرياً، يدور في مجردات لا تنتهي.

ارتاح الفلسطينيون، وانطلاقاً من رؤى وعلم نفس المضطهدين، إلى الخطاب التبشيري العربي، الذي يدفن الصهيونية المشخصة في الرمال، ويبني فوق أنقاضها المتوهمة وحدة عربية متخيلة،

مستقبلها الأكيد هو عودة «اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم» شيء قريب من «هيجلية الفقراء»، إذ على المرء أن يغمض عينيه أمام الظلام العارض في انتظار تحقق «الفكرة المطلقة» الأكيد. والمطلق الأكيد، في الأيديولوجيا العربية التي أعقبت سقوط فلسطين، القومية العربية المعبر عنها في قوى عربية تخلق الدولة القوية التي تستجلب حتما، الوحدة العربية التي تهزم، حتما، الدولة الصهيونية. ارتاح الفلسطينيون إلى «هيجلية الفقراء» ولعبوا دورا نشيطا، بل طليعيا، في كثير من التنظيمات القومية العربية، أصبحت الوحدة العربية هي فلسطين المنتظرة، وغدت الأخيرة مدخلا لكل الأسئلة القومية.

التحق الفلسطينيون بالخطاب القومي لسببين: بسبب التزام متجدد بالمنظور العروبي، وبسبب بنية الخطاب القومي العربي التي توافق، دون انزياح يذكر، رؤى الإنسان المضطهد، احتقب الخطاب القومي التقليدي، أو هو خطاب إيماني بامتياز، عناصر الخطاب الإيماني كلها: أسطورة الأصل القائلة بزمن بريء وسعيد قديم يعود، لزوما، سعدا وبرئا في المستقبل. أسطورة الضمان التي تجعل الحق حليفا للقضايا المدافعة عن الحق. وأسطورة الخلاص الأخير التي هي تتويج للأسطورتين السابقتين. وفي الأصل كانت العروبة، يقول الأرسوزي، بريئة وسعيدة، وعبقرية أيضا، بسبب لغة تشتق النهر من النهار. والضمان، في الفكر الشكلاني الفقير، قائم في تاريخ عربي مليء بالانتصارات وبالقيم الفاضلة. ولذلك، فإن الخلاص الخير حقيقة لا تحتاج إلى برهان، تخلص الفلسطينيين من المنفى وتخلص العالم أجمع من «شذاذ الآفاق» لا يرى الفكر القومي المجرد العلاقة بين القومية والوحدة المجتمعية، ولا بين القومية والديمقراطية، ولا بين الأخيرة والعلمانية، أي أنه لا يدرك أن القومية ظاهرة تاريخية حديثة لا تنفصل عن جملة من الوقائع الحداثية، تتضمن الاقتصاد والسياسة واللغة والثقافة والبنية الحقوقية، وتتضمن أولا سلطة سياسية تعبر عن إرادة مجتمعية طليقة، بعيدا عن مرتبية سلطوية فاحشة، تختزل إرادة الكل الاجتماعي إلى إرادة فرد يضع ذاته فوق الجميع.

توهم الفكر الشكلاني الفقير بأنه يعرف الحاضر والمستقبل أيضا، وكان في توهمه يلغي التاريخ تماما، ذلك أن معرفة المستقبل تلغي التاريخ وتحوله إلى حكاية، وفي جدل التوهم والإلغاء، أصبح تاريخ الصهيوني نافلا، طالما أن مستقبلها واضح ولا غيوم عليه، وغدا الاقتراب من «تاريخ العروبة» عقيما لأنها تقوم في الزمان وخارج الزمن أيضا، بفضل أصل منتصر مستقبله ومنتصر ماضيه أيضا. يلاحظ في هذا السياق، أمران: ارتكنت الصهيونية إلى أيديولوجية أسطورية، على مستوى التبشير التحريضي، والى أيديولوجيا حداثة في ممارساتها العملية، تؤمن بالتعددية السياسية وحق الاختلاف وحقوق المواطنة وتؤمن بالعلم والاكتشاف وبتحويل العلم إلى قوة إنتاجية.. على خلاف ذلك، حول «القوميون التقليديون» الأسطورة إلى إيديولوجيا نظرية وإيديولوجيا عملية، فأكثروا من البلاغة الفارغة ولغة التعزيم، واكتفوا بحداثة شكلانية تمس أجهزة الدولة الأمنية ولا تمس غيرها. يرد الأمر الثاني إلى القراءة الفلسطينية للصهيونية، قبل عام ١٩٤٨، مقارنة بالقراءة العربية المجردة التي تلتها. استندت القراءة الأولى إلى معايير المشخص والنقدي والمتحول والنسبي، أي إلى مفتوح تصوب فيه، ولو جزئيا الممارسة العملية، أخطاء الوعي النظري. ينطبق ذلك على المؤرخ محمد. عزة دروزة، الذي كان يكتب في «يومياته» عما يرى، ولم يرحل إلى ديار الإيمان المغلق إلا بعد الخروج من فلسطين. انتهى النسبي والعياني والنقدي في القراءة العربية اللاحقة، وحتى عام ١٩٦٧ على الأقل، حيث دخلت القضية الفلسطينية، عربيا في طور التفكك، بعد أن رحل القائد العربي جمال عبد الناصر.

ألغى الفكر القومي العربي التقليدي مفهوم التاريخ وألغى معه، وفي اللحظة عينها، مفهوم السياسة، ذلك أن التدخل في التاريخ، وهو فعل سياسي، يستلزم الاعتراف بالتاريخ، والتعرف عليه في مستوياته المتعددة. قدم «أنبياء القومية العربية الصغار» مشروعا سياسيا لتحرير فلسطين لا سياسة فيه، قوامه عمومية إيمانية مشغولة بهزيمة عدو لا تعرفه، مشروعا متخيلا يستولد «المعركة القادمة» من معارك اليرموك والقادسية وذي قار. وتحولت الصهيونية في فكر يلغي التاريخ والسياسة معا، إلى أحجية، وأخذ

المصير الفلسطيني شكل لغز كبير، ومع أن كثيرا من المثقفين العرب تابع مساءلة الصهيونية في قراءات مضيئة، فإن الوعي الفلسطيني بعيدا عن زمن الخالدي ونصار، وبعد سنوات من الانتظار، مال إلى قراءة محاصرة جديدة، تبدأ من المعاناة الفلسطينية المتجددة، ولا تلتفت كثيرا إلى ما جاء في «بروتوكولات حكماء صهيون».

اشتق الوعي الفلسطيني قبل عام١٩٦٧ بقليل وحتى اليوم، معنى الصهيونية من حقلين متكافلين: حقل أول عنوانه «الخصوصية الفلسطينية»، التي خلقها المنفى وقطرية عربية رسمية تتبنى «القضية الفلسطينية العادلة» وتتجنب «الفلسطينيين» الذين لا يعرفون العدالة. أما عنوان الحقل الثاني فهو: الكفاح العملي الفلسطيني، الذي عرف القتال الفكري والسياسي والعسكري، واكتشف أن المشروع الفلسطيني الوطني يبدأ بالنسبي والممكن والمتاح المجزوء، وأن عليه أن يقاتل طويلا من أجل الحفاظ على المتاح المجزوء. اقترب الفلسطينيون، بعد نصف قرن من المنفى والتمرد عليه، من عريف فلسطيني للصهيونية يقول: الصهيونية هي جملة الوقائع الظالمة التي أنتجها المشروع الصهيوني، وعاشها الفلسطينيون اقتلاعا وتشريدا ونفيا ومطاردة وحرمانا من حقوقهم الوطنية والإنسانية. يحدد هذا التعريف دلالة النقض الفلسطيني للصهيونية فيكون: النقض الفلسطيني للصهيونية هو كفاح الفلسطينيين من أجل استرجاع حقوقهم الوطنية والإنسانية التي منعها عنهم المشروع الصهيوني. لا يتعايش هذا التعريف كما الذي اشتق منه، مع التعاريف القاموسية الساكنة والجاهزة، ولا يحيل إلى أصول قديمة أو قادمة. فلسطيني يقاتل من أجل حقوقه ضد آخر سلبه هذه الحقوق، وذلك في سيرورة صراعية مفتوحة، قوامها الحقوق الإنسانية المتعارف عليها، بعيدا عن تعابير لاهوتية، حدودها النصر والهزيمة والحق المجرد، والباطل المجرد أيضا.

من المفترض، نظريا، إدراج الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، وهو صراع مشوه ومجزوء، في صراع أوسع، أكده سمير أمين أكثر من مرة، هو: الصراع العربي - الإمبريالي، غير أن اضطراب العالم العربي اضطرابا متجددا مؤجل النهاية، أو كل إلى الفلسطينيين أن يأخذوا بالاجتهاد الكفاحي المتاح، كما لو كان الفلسطينيون يخوضون الصراع العربي - الصهيوني وهم يخوضون الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، في زمن مضى رأى السكاكيني ونجيب نصار في الصهيونية «طعنة في قلب الأمة العربية».

إذا كانت الطعنة واضحة فإن جسد الأمة العربية أمسى قليل الوضوح، وإن كان القلب الذي استهدفته السكين لايزال ينبض حتى اليوم.

معنى الصهيونية بعد مخيم جنين

لم تضف الصهيونية بعد مجزرة «مخيم جنين» جديدا إلى جوهرها الأول، فما تزال، كما كانت عنصرية تطلق النار على الأبرياء وتعدم من تلتقي به، وتسوي بلدوزراتها المخيم العظيم بالأرض. ومع أن المخيم العظيم برهن عن بطولة الفلسطينيين للمرة الألف بعد الألف، فإن صموده البطولي كشف عن أشياء جديدة، وإن لم تكن جديدة تماما.

كشف المخيم عن شعب فلسطيني لا يريد أن يستقيل من التاريخ، ولا يرضى أن يخرج من التاريخ أو يزهد التاريخ به، على مبعدة شاسعة عن أنظمة عربية خرجت من التاريخ وتنتظر من شعوبها أن تخرج منه، كي تتحول مثلها إلى إشارات كثيرة البلاغة وقاحلة الفعل وبائسة المبادرة. ولعل هذا الصراع بين من يريد أن يكون في التاريخ، وصانعا له، وذلك الذي استقال من التاريخ وارتاح إلى التداعي، هو الذي يفسر الصمت المريب الذي أخذت به بعض الأنظمة، وهو الذي يفسر تلك المباركة الصامتة، أو الناطقة التي ترسلها بعض الأنظمة إلى النظام الصهيوني وحكومته المجرمة.

وكان على الشعب الفلسطيني، وكما كان دائما، أن يبرهن أنه يصنع التاريخ وهو يصارع الصهيونية، وأنه يستنهض ما تبقى من الأمة العربية، مقترحا تعريفا جديدا للقومية العربية، يضع معظم الأنظمة خارجا، ويعطف صفة القومي العربي على الجماهير التي خرجت منددة بالجرائم الصهيونية، فليس العربي، في زمن غطرسة شارون وجرائمه، هو من يتكلم باللغة العربية وينتسب إلى الجامعة العربية، بل هو رجل الشارع، الذي تظاهر وكسرت عظامه هراوات الأنظمة الصامتة، وهو رجل المظاهرة، الذي مات شهيدا وهو يواجه أنظمة القمع العربية. بل أن هذه الأنظمة، وهي تحاصر الإنسان العربي الذي هب دفاعا عن الفلسطيني المحاصر، تبرهن، بيسر كبير، عن ذلك التناظر الحزين، الذي يضع المحاصر الفلسطيني الطليق إلى جانب المحاصر العربي المقيد، ويضع الأنظمة العاجزة تحت تصرف النظام الصهيوني، كما لو كانت تشاركه الرغبات في يوم تستيقظ فيه، فلا تجد غزة ولا فلسطين العربية ولا الفلسطينيين الذين «يحرجونها» منذ سنوات، وإن كانت هذه المرة قد قررت التحرر من الإحراج، واللواذ بصمت مخز أو بكلمات متقاطعة تتحدث عن «العنف والعنف المتبادل».

ومثلما أن الانتساب إلى القومية العربية يتجاوز اللغة وأصناف الطعام وإيقاع الأغاني، ويتحدد بالفعل والممارسة، فإن الانتساب إلى الصهيونية يتعين بالانتساب إلى مشاريعها، في علاقتها مع الفلسطينيين، وبهذا المعنى يمكن الحديث عن صهيوني أصيل وعن متصهين أكثر أصالة، أو عن صهيوني بالفعل وصهيوني «بالقوة» والأمر لا إشكال فيه ولا إساءة، فإذا كان الصهيوني هو نقيض الفلسطيني، بقدر ما أن الهدف الفلسطيني نقيض الغايات الصهيونية، فإن صهيونية المنظور والموقف تتحدد باختيار المعسكر، وبالوقوف إلى جانب طرف في مواجهة طرف آخر. وما جرى، وما يزال يجري، يبرهن عن مباركة عربية سافرة للإجرام الصهيوني، طالما أن «المستعرب» كما «المتصهين» يتكشف عاريا في موقفه من الصراع الدامي الدائر في فلسطين اليوم.

وهكذا تعيد القومية العربية تعريفها، طاردة معظم الأنظمة إلى الخندق الآخر، وتجدد الصهيونية تعريفها، مكتسبة بعدا جديدا وأعضاء جدد. لا غرابة في شيء منذ أن اطمأن «العرب» إلى حسن النوايا الأمريكية، وسلموها المفاتيح والأبواب والمنازل، ومنذ أن اطمأنت الولايات المتحدة إلى العجز العربي المتجدد، معتبرة إسرائيل الإعجاز الإلهي الوحيد، وما تبقى من البشر أسماء لا مضمون لها.

لا أحد يغلق التاريخ، طالما أن هناك عربيا يؤمن بالصراع، ويستولد التاريخ من صراع مفتوح، وطالما أن هناك صراعا يعيد باستمرار تعريف القومية العربية، مستبقيا تعريف الصهيونية الثابت والسرمدي الذي يرفض كل تغيير.

أسبوع «المدى» الثقافي الثالث بدمشق

«تحية إلى شعب فلسطين»

فضاء ثقافي مفتوح على القضايا الساخنة!

علي الكردي

كانت فلسطين حاضرة بقوة في مهرجان «المدى» الثقافي الثالث بدمشق، ليس من خلال شعار المهرجان: «تحية إلى شعب فلسطين» فحسب، وإنما أيضاً من خلال العناوين، والفعاليات التي طرحت الكثير من الأسئلة الموجعة، التي صبت بشكل أو بآخر في مجرى هذه القضية، التي أعادتها الأحداث الأخيرة الساخنة إلى صلب اهتمام الشارع العربي بمثقفيه وجماهيره الواسعة.. وفي نظرة سريعة إلى عناوين الندوات، يمكننا أن نتلمس التقاطع الجوهري بين القضية الفلسطينية، وانشغالات تلك العناوين: «عالم ما بعد ١١ أيلول: المخاطر والتحديات، مفهوم الحضارة ومفهوم الثقافة: تطابق أم تضامن.. وفشل المشاريع الثقافية العربية: الأسباب والبدائل، والعولمة والهوية والصراعات الحضارية.. حركات مناهضة العولمة: أممية جديدة أم مقومات يائسة؟».

كذلك لم تقتصر الندوات على القضايا الفكرية، وإنما اتسعت لتشمل كافة الأجناس الثقافية والإبداعية الأخرى: «المسكوت عنه في الرواية العربية والسينما العربية، بحثاً عن هوية، والتشكيل كفضاء شعري مقترح.. والمسرح والجيل الجديد».. كذلك كان للأمسيات القصصية والشعرية والموسيقية والعروض المسرحية والسينمائية حيزاً هاماً في المشهد، رغم اعتذار الشاعر الكبير محمود درويش، الذي بعث كلمة مؤثرة عن تدهور الأوضاع في فلسطين، التي حرمته من المشاركة في هذه الفعالية.

في ندوة الافتتاح «ما بعد ١١ أيلول المخاطر والتحديات، تحدث الدكتور عصام الزعيم عن الدروس المستخلصة من أحداث أيلول، وأولها تحول التحالف السابق بين القيادات السياسية والأمنية والعسكرية لقوى العولمة والحركات الأصولية المتطرفة، إلى تناحر ومواجهة مصيرية كان من نتائجها نشر العولمة العسكرية الأمريكية، وتلويح الولايات المتحدة باستخدام السلاح النووي ضد أي دولة ترى فيها تهديداً لمصالحها، واختبارها أسلحة فتاكة جديدة في أفغانستان، أما الانعكاسات الإقليمية لسياسات الإدارة الأمريكية بعد ١١ أيلول فهي تجديد تطرفها المنحاز لصالح عدوان إسرائيل، واحتلالها واستيطانها لفلسطين، وإرهابها للشعب الفلسطيني.

ثم تحدث المفكر نصر حامد أبو زيد كلمة مقتضبة تساءل فيها: «ماذا يفعل المثقف ليحمل على كتفيه جزءاً من هذه الدماء؟ ماذا يفعل من أجل امرأة تبكي في فراشها، وتزغرد أمام الزهور والناس؟»

هؤلاء الذين قتلوا.. هل قتلهم شارون أم نحن قتلناهم؟ يأتي المفتي ليقول: هذه المرأة يجب أن لا تخرج بدون محرم!

اصمت يا حضرة المفتي.. ثم دعا أبو زيد إلى تفكير نقدي وثقافة نقدية، لأننا شبعنا احتفالات!

العولمة.. والهوية والصراعات الحضارية

ركز د. قيس العزاوي في ندوة «العولمة.. والهوية والصراعات الحضارية» على الهيمنة الأمريكية الاقتصادية والعسكرية والإعلامية، التي أصبحت استفزازية.. واعتبر أننا مقبلون على الدخول في عصر جديد نودع فيه نظريات وتقنيات ومقولات العصر الماضي، منوهاً بأن الغرب أصبح غربين: غرب أوروبي قديم، وغرب أمريكي جديد مدجج بالسلاح وقوة الهيمنة.. ومن جهتها قدمت د. بثينة شعبان ملخصاً لدراسة ميدانية، حاولت من خلالها متابعة وصف الانتفاضة في الصحف العربية والأجنبية، واستخلصت أن هناك حربين: حرب حيث يقتل الفلسطينيون وتدمر بيوتهم وممتلكاتهم، وحرب أخرى هي الحرب الإعلامية التي تقلب الحقائق رأساً على عقب، وتسمي المقاومة «إرهابا» والمغتصب «ديمقراطيا» يدعو إلى السلام.

هل فشلت المشاريع الثقافية؟

أثار السؤال حول فشل المشاريع الثقافية العربية، حفيظة بعض المشاركين في الندوة، حيث اعترض محمد شاهين على عنوان الندوة، لأنه لا ينصف برأيه المشاريع الثقافية، ولا الثقافة، ولا المثقفين، والسبب أن المشاريع الثقافية لم يسبق لها أن دخلت في

قيس الزبيدي ومحمد ملص

عبد العزيز الصكار وخليل شوقي

منافسة مع السلطة.. أو سمح لها بأن تدخل الملعب، بل بقيت محاصرة خارجه.

وأكد شاهين أن الثقافة هي لغة فعل وتغيير، تدفع إلى السير قدماً على درب الحرية والاستقلال، وهي العناد في هذه المرحلة.

من جهته ركز هاتف الجنابي على المفارقة الملفتة بين الغرب والشرق في نظرته للماضي والمستقبل، ورأى أن الفارق بيننا وبينهم هو نظرهم بروح الشك واللايقينية إلى الماضي والحاضر للوصول إلى المعرفة، بينما تفتقد الثقافة العربية السائدة إلى تعدد منافذ الوصول إلى المعرفة، بسبب الازدواجية التي تتسم بها وتقسمها إلى: مشركة وموحدة.. وضالة ومستقيمة، وهذه الظاهرة تركت ظلالها التي غلفت حياتنا برأيه على الصعيدين الفكري والسلوكي، وانسحبت آثارها على عموم المثقفين، وختم مداخلته بالقول: «لقد ساهمت ثقافة المؤسسة في تكريس ظاهرة الازدواجية وسط المثقفين، ثم قامت بتوظيفها لخدمة بنيتها وكيانها، وهذا يعني أننا مازلنا نعيش امتداداً لمرحلة وعاظ السلاطين».

أما الروائي المصري إبراهيم عبد المجيد، فقد ركز على غياب الديمقراطية في الساحة العربية، التي كانت سبباً في فشل معظم المشاريع الثقافية، وتناول علاقة المثقف بالسلطة السياسية، وعلاقة المثقفين بالأصولية وختم قائلاً: «لو كانت الديمقراطية موجودة، لكان من الممكن الدفاع عن المشروع الثقافي، لأن الدول والأمم تصبح قوية بتعدد الأصوات لا بسيادة وهيمنة الصوت الواحد».

فعاليات متنوعة!

لا يمكننا بالطبع في هذه العجالة، تغطية كافة ندوات وفعاليات المهرجان، ولكن يمكن الإشارة بسرعة إلى أهم فعالياته.. وعلى رأسها معرض الكتاب الذي ضم سلسلة من الإصدارات المتنوعة، التي تتطلع إلى ثقافة تنويرية حقيقية، وفي هذا السياق جاء مشروع «الكتاب للجميع» الذي أطلقته دار المدى، ليقدم الكتاب بأسعار زهيدة، ثم جاء أخيراً «كتاب مع جريدة مجاناً» كمبادرة غير مسبوقة، وذلك بالتعاون مع جريدة السفير البيروتية، والثورة السورية، والبيان الإماراتية. وعلى هامش معرض الكتاب قدم مقهى «الإنترنت» خدماته لرواد المهرجان.

كذلك اتسعت دوائر هذا الفضاء الثقافي، لتشمل تكريم بعض المبدعين الراحلين والأحياء.. وفي هذا السياق كرم المهرجان الشاعر السوري الكبير علي الجندي الذي يعيش حالة عزلة مع شيخوخته منذ سنوات..

وفي شهادات حارة - بحضور علي الجندي - تحدث ممدوح عدوان عن هامشية وظرافة هذا الشاعر، الذي يعتبر من جيل الريادة الحداثية في الشعر العربي مع عبد الوهاب البياتي، ونازك الملائكة، وصلاح عبد الصبور، رغم أنه لم يأخذ حقه على مستوى النقد الشعري، وبعد أن قرأ علي الجندي مقطوعة قصيرة من شعره، قرأ عدوان بعضاً من قصائد الشاعر الجندي، الذي أضفى بحضوره الكثير من البساطة الجميلة.. من جهة أخرى كرم الشاعر الكبير محمد الماغوط من خلال رسومات وألوان ثمانية عشر فناناً تشكيلياً، رسموا لوحات أضاءت المناخات الشعرية والروحية لهذا الشاعر المتمرد، مستوحاة من نصوصه الشعرية.

جبر علوان وصنع الله إبراهيم

كذلك كرم فنان الكاريكاتير الراحل بهجت عثمان من خلال المعرض الاستعادي، الذي ضم رسوماته الساخرة، وتقديراً لمبدعين عرب آخرين، شكلوا حضوراً استثنائياً في ساحة الإبداع العربي، افتتح معرض فوتوغرافي لصور هؤلاء المبدعين.

فضاء المقهى الثقافي

في إطار المقهى الثقافي، وحفلات توقيع الكتب كان اللقاء حاراً وحيوياً بين الكتاب وقرائهم.. وفرصة ثمينة للقاء الأصدقاء.. والتعرف على أصدقاء جدد.. بحضور رموز الثقافة العربية. من مصر: الروائي صنع الله إبراهيم الذي قدم شهادة عن كتابته الروائية، ووقع روايته «شرف» التي كانت الأكثر مبيعاً في معرض الكتاب، وإبراهيم عبد المجيد، الذي قدم هو الآخر شهادة عن تجربته الروائية، تحدث فيها عن مدينته الإسكندرية كفضاء لعالمه الروائي، إضافة إلى مشاركته في ندوة «فشل المشاريع الثقافية» ومن المفكرين كان لحضور نصر حامد أبو زيد وهجه الخاص، إلى جانب محمود أمين العالم.. ومحمد سيد أحمد.. وتمثل الجيل الشاب بحضور الروائية ميرال الطحاوي.. ومن المغرب حضر محمد برادة، وكمال عبد اللطيف ومن الكويت الكاتبة ليلى العثمان، والقاص طالب الرفاعي وأنور الياسين، ومن لبنان طلال سلمان، ومحمد دكروب، ومن العراق هاتف الجنابي، محمد سعيد الصكار، قيس الزبيدي، فؤاد التكرلي والشاعر الكردي شيركو بيكه س، وعلي الشوك والمسرحي خليل شوقي، ومن الإمارات المتحدة الشاعرة ميسون صقر القاسمي.. ومن سورية محمد ملص، وبندر عبد الحميد وفايز قزق، وماري الياس وممدوح عدوان، وعلي الجندي، ولينا الطيبي، وندى منزلجي.. وكل هذه الأسماء هي على سبيل المثال، لا الحصر، لأن القائمة تطول.

هذا المهرجان الذي بات تظاهرة سنوية في دمشق، انتقل هذا العام إلى حلب وبيروت، وهو نتاج جهود مؤسسة ثقافية خاصة، وهذا ما يطرح السؤال عن مدى حيوية المبادرات الخاصة في ظل غياب، أو ترهل المؤسسات الثقافية الرسمية، التي أصبحت نشاطاتها نمطية، وتعتمد على ثوابت جامدة لا تتغير.. ولا تعكس النبض الحقيقي للشارع المتعطش للسجال وطرح الأسئلة الجادة التي تقلقه، خاصة في ظل الظروف المأساوية التي تمر بها القضية الفلسطينية، ومنطقتنا العربية عموماً.

اللافت في هذه التظاهرة، هو الحضور الكثيف للجمهور الشبابي، ليس في الأمسيات الغنائية للفنان نصير شمة، ومحمد منير وإلهام المدفعي فحسب، وليس في اللقاء المفتوح مع الفنانة ليلى علوي، وإنما في الأمسيات الفكرية والثقافية.. وهذا ما يدلل بشكل قاطع على جدية هذا الجيل، وقلقه المشروع، وتطلعه إلى مستقبل أكثر إشراقاً وتنويراً.

ثمة ملاحظات، لابد من ذكرها، فقد لوحظ بعض الإرباك في برنامج التظاهرة، لجهة تغيب بعض الأسماء، وتغير لبعض الأسماء، وتم إنقاذ الموقف بتكليف البعض الآخر في اللحظة الأخيرة، كما حصل مع عبد العزيز علون، وأسعد عرابي في ندوة التشكيل والفضاء الشعري.. كذلك لم يتم الالتزام بدقة بالمواعيد المعلنة للفعاليات وكل هذا انعكس بفوضى على المستوى التنظيمي.. كذلك لم تكن التجهيزات الصوتية والقاعات ملائمة تماماً لاستيعاب هذا التدفق للجمهور المتعطش، الذي يستحق التكريم من خلال تكريم فكرة الثقافية كفضاء يفتح الأفق أمام التطور الحضاري المنشود.

المفكر الكبير نصر حامد أبو زيد في نادي غسان كنفاني

دمشق - خاص بالهدف

بدعوة من منتدى الشهيد غسان كنفاني الثقافي واللجان الفلسطينية للدفاع عن حق العودة ودعم الانتفاضة، عقدت في قاعة الشهيد غسان كنفاني بمخيم اليرموك، في دمشق، ندوة فكرية تحت عنوان «المشروع التحرري العربي والتحديات الراهنة» وذلك مساء يوم الأربعاء ٢٠٠٢/٣/٢٧.

ضيف الندوة كان المفكر العربي الكبير الدكتور نصر حامد أبو زيد، على هامش مشاركته في أسبوع المدى الثقافي، الذي كرّس لفلسطين. وقد أدار الحوار الناقد الدكتور فيصل دراج.

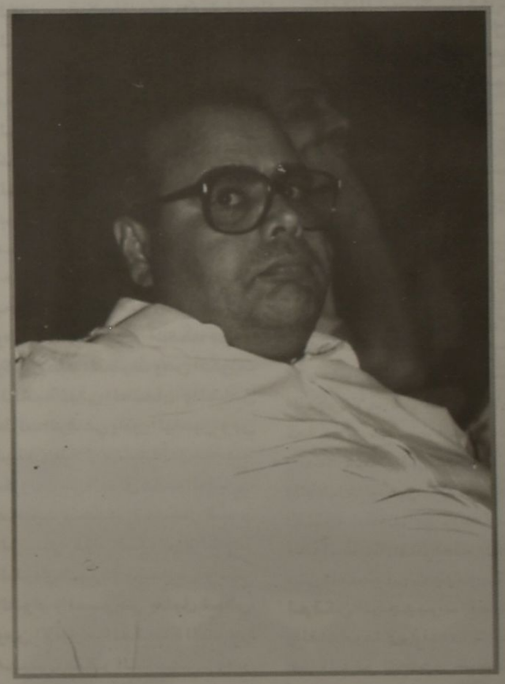

وبعد أن قدم الزميل الشاعر محمود سرساوي الضيوف، ترك الكلمة للدكتور فيصل دراج، الذي قال: طلب مني أن أقوم بتقديم الدكتور نصر حامد أبو زيد، وأعتقد أن الأمر بسيط، إذا أراد الإنسان أن يستعين باللغة العربية المسيطرة، كنت وما أزال أرى فيه إنساناً بسيطاً متواضعاً طيباً أقرب ما يكون إلى فلاح مصري.

نصر حامد أبو زيد من المستضعفين في الأرض، لكنه قاتل ويقاتل من أجل أن يقول كلمة جيدة، وواقع الأمر أننا تعرفنا على نصر حامد أبو زيد من مفهوم خاطئ، لم يكن مهتماً بالدفاع عن الدين ولا الإساءة إليه، إنما كان ولا يزال يعمل من أجل أن يستعمل عقله ومن أجل تطبيق عقلاني، أو استعمال عقلاني للعقل، في دراسته للنصوص الدينية، وبسبب هذا الاستعمال العقلاني وغايته الدفاع عن خير الأمة، وقيم البشر، قال بوحدة النص والسياق، إذ لا يمكن أن نقرأ نص معين خارج سياقه، كما لا يمكن أن نتطرق إلى نص تاريخي معين ولا إلى النصوص التي نبحث عنها، خاصة أن العقول الغبية والميتة هي التي ترضى بقراءة أبدية غير متغيرة لنص معين، علماً أن الزمن متغير والقضايا الاجتماعية متغيرة أيضاً.

وتابع د. فيصل دراج: عملياً، فإن نصر حامد أبو زيد، كان ولا يزال يدافع عن الحق والحقيقة، مع إشكال مأساوي، وهو أنه قام بعمله في سياق منحط وشديد الانحطاط، وبهذا المعنى فإن نصر حامد أبو زيد لا يحمل فقط مأساة المجتهد المبدع، والوطني الخلاق، ولكن يحمل أيضاً مأساة الثقافة العربية الراكدة، التي إما عليها أن تذهب إلى المنفى وتلتزم بالصمت، أو تندرج في إطار من التلفيق والأفكار الفارغة التي تتحدث عن مستقبل بعيد، أو عن ماضٍ بعيد، دون أن تمس الحاضر المعيش أبداً.

وفي الحالات جميعاً، فإن نصر أبو زيد، أبعد ما يكون عن المثقف الذي يحتمي بما هو مفيد وما هو نافع، ذلك أن المفيد والنافع لا يقاس بفترة قصيرة، بل هو يتابع الدفاع عن ما هو صحيح، وما هو صحيح يظل صحيحاً في جميع الأزمنة، حتى لو تغيرت بعض الوجوه، وما هو صحيح يظل صحيحاً سواء انتصر أو انهزم، لأن المثقف الحقيقي لا يرى في مستوى الهزيمة إنما يرى أولاً وأخيراً في توظيف العلم والثقافة في سبيل أهدافه، وطنياً وأخلاقياً.

وبعد ذلك ترك الدكتور فيصل المجال للدكتور نصر حامد أبو زيد ليبدأ حواره مع الحضور..

قال د. نصر: أنا فلاح من أرض مصر، وطني مصر، وأفقر المناطق في مصر، أنا حضرت هنا من أجل أن أستمع إليكم، أريد أن أتعلم منكم ومن أسئلتكم، وأنا سعيد بوجودي في هذا المكان وتحت هذا العلم الذي يمثل الكثير لي، حيث أول مرة زرت فيها سوريا، كانت للمشاركة في ندوة عن غسان كنفاني، وأيضاً الآن أحضر بعد سنوات في إطار غسان كنفاني، من سبتمبر ٢٠٠٠ «الانتفاضة» وليس ٢٠٠١ «أحداث نيويورك».

بعد كلمته القصيرة جرى حوار طويل معمق مع د. أبو زيد، وفي إجابته عن سؤال حول المثقف ودوره ووظيفته، وإمكانية القيام بالوظيفة النقدية، أجاب الدكتور

نصر: إن الموضوع يتعلق بالأسئلة الحقيقية التي تطرح، أو ما نتصوره أسئلة حقيقية مثل سؤال التراث والمعاصرة والواقع، وهي صياغات لمشكلات تمثل أزمة حقيقية في الواقع، وليست إشكاليات مجتمع، ولكي تخلق مجتمعاً حقيقياً، يجب أن ينقطع عن تراثه، وأن يتوافق مع الحداثة، هذه أسئلة مشروعة ونابعة عن رغبة الناس، لذلك لا تعتبر شكلية أو مفروضة على الواقع.

وأعتقد أن الكثير من الأسئلة التي اشتغل عليها الفكر العربي هي أسئلة مستهلكة، منذ نهاية القرن الـ «١٨» وبداية القرن «١٩» وذلك لأسباب كثيرة جداً، لأننا نحقق حروب ونحقق انتصارات ثم تحدث لنا انتكاسات، ثم نعود مرة أخرى إلى طرح مثل هذه الأسئلة.

حول دور المثقف، أظن أن المثقف العربي بشكل عام، له علاقة بالنمطية، فهناك أنماط من المفكرين والمثقفين، وأنماط من المتعلمين وأنماط من البسطاء العرب، ويمكن ببساطة أن نتحدث عن هذا المثقف الذي هو جزء من بناء السلطة، حتى لو كان في المعارضة، لأنها بالمحصلة جزء من البناء السلطوي، يمثل الحزب ويدور في إطار السلطة في المعارضة، وهناك المثقف المستقل الذي يحاول أن يكون مستقلاً، لأن الاستقلال يؤدي إلى دفع الثمن.

وحول الإسلام الجهادي ودوره بالانتفاضة، تحدث الدكتور نصر أبو زيد فقال: إن الموضوع يحتاج إلى تفكير عميق ولكن دور الجهاد الإسلامي أو الإسلام الجهادي، سينجح أو يفشل، ضمن أدوار القوى الأخرى في الساحة الفلسطينية، وبمعنى آخر قيام الفلسطينيين على اختلاف اتجاهاتهم بالكفاح، وأنا ضد الطرح الذي يحصر الكفاح الفلسطيني في إطار ديني فقط ولا أوافق عليه.

وحول فكرة نصر أبو زيد الفدائي الأول الذي أطلق الطلقة الأولى باتجاه المقدس المتكلس قال: «أنا لم أرد المقدس المتكلس قتيلاً، وأحياناً نقيس الاسم على الأساطير، لأن الأساطير مهمة بشرط أن تكون مفهومة وإسرائيل مجتمع وكيان قائم على الأسطورة القائمة على الاعتقاد بالتوراة والمقدس أيضاً، وتفسير هذه الأسطورة يمر عبر الصهيونية، والإسلام أيضاً، له أساطير بالمعنى الثقافي العام، أسطورة الإسلام مبنية على الأسطورة اليهودية، من هنا إذا تمت الحرب على أرض الأسطورة فقط، فأنت خاسر بالضرورة، لأن تراثك يتأسس معرفياً وتاريخياً على أسطورتهم، فلا بد أن تخرج من إطار الحرب بالأسطورة، لأن قضيتنا قضية واقع وقضية احتلال وقضية استعمار وقضية حق، لذلك فأنا أحذر في التعامل مع وضع صيغة واحدة تصور نهاية القضية الفلسطينية، تحت أي مسمى محدد، وإنما هي تحت اسم فلسطين فقط. إن ما يحدد في النهاية الاتجاه الصحيح هو الوعي الناجز، وبهذا المعنى نمارس جهادنا وكفاحنا بالمعنى السياسي على أرضية الوعي.

وهذا المأزق هو ما يجعلني عاجزاً عن الكتابة في هذه اللحظة التاريخية «الانتفاضة».

وحول دور المثقف العربي لنشر حقائق الصراع العربي الصهيوني في ظل سيطرة اللوبي الصهيوني على وسائل الإعلام، وكيفية مخاطبة هذا المثقف، العقل العربي.. وحول التطبيع ونجاحه قال د. نصر أبو زيد: إن المثقف العربي عموماً في الغرب حريص على توضيح الصورة، واللغة التي ينتهجها الغرب عموماً هي لغة الحقيقة، ولغة الحقيقة، ليست محتاجة إلى تبريرات لأن الشعب الفلسطيني يخوض حرب لتحرير أرضه من الاحتلال الإسرائيلي، لكن القضية هنا ليست قضية إعلام فقط، ولكن القضية هي قضية قوة بالأساس، والحق الغير مسلح بالقوة لا ينجز شيئاً، وهي معادلة بسيطة جداً.

والخطاب السائد الآن هو خطاب ديماغوشي، سواء مع أو ضد، وحتى الإعلام الغربي لا يغذي الخطاب، والخطاب العاقل الذي يديره المثقفون، والمثقفون أصبحوا مهمشين في العالم كله، وليس في العالم العربي فقط، فقضيتهم أصبحت مشروعة وواضحة، ولكن اعتبارات السياسة على مستوى صانعي القرار هي المشكلة.

وحول سؤال المنفى الإجباري الذي يعيش فيه المواطن العربي في بلده، وكيف نظر كمثقف في المنفى إلى هذا الواقع.. وأثر الانتفاضة على الفكر والثقافة العربيين، وعلى الواقع الاجتماعي الداخلي، قال د. أبو زيد: إن هذه الأسئلة هي أسئلتي أيضاً، ولكن كل منا يحاول أن يصنع ثقباً في هذا الجدار، ولكن أيضاً لا بد من عمل ما في حدودنا الضيقة جداً، العمل بالنسبة لي يعني الكتابة، وقد سبق لي أن قلت فإنني عاجز عن الكتابة، ولكن الأسئلة الحارقة التي تطرح علينا الآن عن الانتفاضة وقيام أوسلو، وعن الانتفاضة الثانية والعجز العربي، تدفعنا للمحاولة للإجابة عنها، ولكنها أسئلة مفتوحة على مدايات مستطيلة واسعة، يصعب الإجابة عنها بشكل محدود.

وحول سؤال إلى أي حد أسهم غياب وعي عقلاني في قضية التراث وسيطرة الوعي بالتلفيق في تعقيد القضية الشخصية المطروحة في الخطاب العقلاني نقد التراث، أجاب نصر أبو زيد: إنه لابد من النظر في تطور الفكر العربي في نصوص التراث عبر سياق تطوري، وأضاف أن هناك تطور في فهم مسألة التراث، ولكنه ليس بالضرورة محقق في الممارسة، والنزعة التلفيقية كانت نزعة طبيعية في الوطن العربي، وهي تسعى إلى إحداث مصالحة بين التراث والحداثة، دون ارتباط نقدي، ولكني لا أوافق كثيراً أن هذه النزعة أسهمت سلباً في قضية نصر أبو زيد بصفة خاصة، وهذا فيه مبالغة.

وحول العولمة والحضارة ونهاية العالم تحدث د. نصر فقال: إن الأمركة والعولمة قضية أخرى تختلف عن مفهوم الحضارة سواء كانت غربية أو غير غربية، إلخ، وقد تترسم بحامل حضاري ولكن لها علاقة بالقوة وليس بالحضارة، والمجتمع الأمريكي مجتمع سيكوباتي يحمل فيه أشد الأفكار البروتستانتية تعصباً، ومن هنا نجد العلاقة الجيدة جداً بين الصهيونية والبروتستانتية، وما يربط أمريكا بإسرائيل ليس فقط المصالح الاقتصادية، بل تكمن في بنية الفكر الديني البروتستانتي الصهيوني، أما مفهوم نهاية العالم فهو ديني بالأساس وتتحدث عنه كل الأديان، وجزء أساسي من الدعاية الدينية ومفهوم نهاية التاريخ هو مفهوم نهاية العالم.

وأضاف، أن الاقتصاد شيء مختلف، فالسوق هو «إله» العولمة، و«إله العولمة»، له وجه واحد قبيح، هو وجه القوة.

والثقافة هي مجرد حامل بسيط لأمركة العالم كجزء من تقبل قوانين السلوك الجديد، وهذا يعني بالضرورة تقويض الثقافات المحلية من أجل فرض ثقافة الأمركة على العالم، وليس فقط على العالم العربي والإسلامي، والمسألة قضية صراع سياسي اقتصادي، والمطلوب عدم الاستسلام لهذا المصير وهذا يعتمد أساساً على مدى إبراز عناصر قوتنا القادرة على التصدي لهذه الأزمة، وأما بالنسبة للشعارات التي تتحدث عن صراع الحضارات فهي في رأيي شعارات زائفة، كما هي الشعارات التي تقول أن القضية الفلسطينية، قضية دينية، وهذا خطأ، فهي قضية صراع ضد الاحتلال فقط.

وقد استمرت الندوة لأكثر من ساعتين من الحوار.

أبو علي مصطفى

نضال نجم القاضي
شاعرة من القطر العراقي

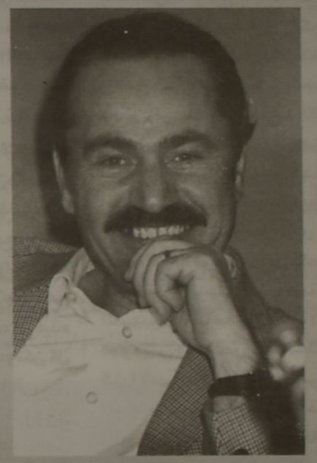

تمهل رفيقي قبل الرحيل

❖ ❖

كل الحكايا تشبه الموال
في هذا الحصار
وكأن موتك يا رفيقي
فاتحاً للحب
في زمن الغبار
هيهات يكتب للعصافير الجميلة
في زمان البوم
أن تنجوا
وفي عصر التتار
هيهات يكتب للعيون السمر
للحارات
للأطفال
للقصص القديمة
لحن موال وغار
تمهل قليلاً قبل الرحيل
دار ودار
لأن القصائد
تاهت مزامير الطفولة بين عينيا،
كل القصائد
تلاشت كالغبار
تحاور فيك مدى المستحيل
لا شيء منها غير أوجاع الرؤى
صنعت اليراعي
والانتظار
وصغت القوافي
لا شيء يدفعنا إليها
وأشعلت نثراً برسم الدليل
سوى الحصار إلى الحصار
وأشعلت فعلاً بين الصهيل
قد قلتها

عدنا لنثبت أننا في الأرض زيتون مقاوم
قد قلتها
عدنا وأبداً لن نساوم
وجعلت من دمك القصيدة
في نشيد الشعب واللحن المقاوم
أيقظت فينا
موسم العشاق والشهداء والأطفال
أنضجت البراعم
قم يا حبيب الشعب
كل الشعب خلفك مقسماً أن لا يساوم
لن نساوم
لن نساوم

❖ ❖

هاهو الفارس عاد
يحمل الزيتون والبرقوق في يده
وفي اليد الأخرى الزناد
يجمع الشهداء
والأطفال والعمال
يرسم لوحة النصر البهية
يتشظى ألف موال على كل البلاد
يا كتائبه الأبية
يا رصاص الشعب يا كل العتاد
هذا زمان النصر
للزيتون للبرقوق في وجه الرماد
هذا زمان الشعب
بالأحمر القاني ستكتمل المسيرة
ينكسر السواد
هاهو الفارس عاد
يحمل الزيتون والبرقوق في يده
وفي اليد الأخرى الزناد
هاهو الفارس عاد

رجل في عين العاصفة

نظمت مؤسسة الهدف يوم ٢٩ نيسان عرضاً افتتاحياً للفيلم التلفزيوني «رجل في عين العاصفة» عن حياة الشهيد القائد أبو علي مصطفى الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وذلك في صالة سينما الكندي بدمشق.

وحضر الافتتاح عدد كبير من الإعلاميين ورجال السينما وممثلي الفصائل الفلسطينية وحشد من المثقفين والمهتمين إضافة إلى عائلة الشهيد.

خيول الريح

أحمد موسى الخطيب

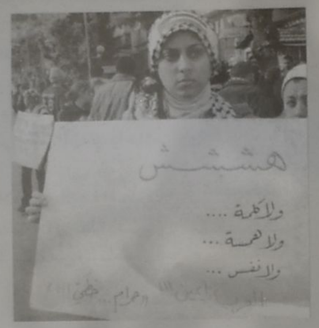

لمي دموع الحزن
يا أماه
وزغردي
لكل حجرٍ
في سمائنا يضاء
احبكي لكل عريسٍ
كوفية
ومن سنابل شمسنا
رداء
لا تقولي: ماتوا
بل سقط الردى
وما خبت
مشاعل الشهداء
نبيون نحن..
على أرض الفدا
خيولنا الريح
وسيوفنا الجراح
فوق دروب الفجر
حلقت راياتنا
في كل كفٍ
جمرة
لن تنثني
واشتد عزم زنودنا
وحار في إقدامنا
الحكماء
فعل الرجال
للمنايا.. وقفة
لا بالصراخ
وخطبة عصماء
فعل الرجال

نخوة.. عربية
بذل النفوس رخيصة
ودماء
لذئب طغى بقطيعنا
وكلابنا
تهوى النباح
بصوتها الصداح
ركبوا مآذن خيلهم..
ليجاهدوا
بئس الجهاد
ومنبر نواح
العجوز هي
من تحني ظهرها
وتميل
على جنبها العرجاء
لا خير في حرةٍ..
أكلت من ثدييها
وضاجعها الغرباء
والأبناء
لا خير في أمةٍ
ساكتة
يتوارث ذلها الزعماء
الحرة في القدس
ترمح خيلها
وعلى صهوتها
يتنافس الشرفاء
الحرة في القدس
تطلب مهرها
ويتزاحم في ودها
الشهداء

اصدارات

دوائر الخراب

عن دار نمير للنشر صدر حديثاً كتاب «الاستشراق والعنصرية الصهيونية» للباحث سمير صالح. وهو بحث هام يأتي في ظرف استثنائي ليفتح أبواباً واسعة، نافضاً الغبار عن الكثير من الأمور وكاشفاً الكثير من الحقائق على طريق.. العنصرية الصهيونية.

والكتاب في عشرة فصول وفي ٢٩٠ صفحة من القطع المتوسط.

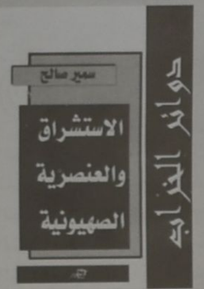

سورية واللاجئون الفلسطينيون

عن دار كنعان للدراسات والنشر والتوزيع صدر حديثاً الطبعة الثانية من كتاب «سورية واللاجئون الفلسطينيون العرب المقيمون» من إعداد المحامي ظافر بن خضراء، والكتاب دراسة قانونية عن أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في سوريا، جاء الكتاب في ١٩٠ صفحة من القطع المتوسط وصمم غلافه الفنان جمال الأبطح.

أمينة غصن ونقد المسكوت عنه!

تطرح أمينة غصن في كتباها الجديد: «نقد المسكوت عنه» الصادر حديثاً عن «دار المدى» بدمشق مجموعة من التساؤلات حول مدى إمكانية نقّاد الحداثة العرب، التأسيس لخطاب نقدي عدمي أو لاعقلاني و المجاهرة به؟

وتجيب بعدم إمكانية هؤلاء النقاد على فعل ذلك، لأنهم - برأيها - استعاروا أساساً من الغرب ثوباً غير ثوبهم، وفقدوا بالتالي هويتهم، وهي في محاولتها نبش المسكوت عنه في النقد، تقارب ثلاث قضايا أساسية، ظلت على الدوام مثار جدل وأخذ ورد وهي: تحرير المرأة، والجسد، والثقافة.

من مفارقات الكتاب أن المؤلفة تنكر ريادة قاسم أمين في حمل لواء تحرير المرأة، بالمقارنة مع ما كتبه رفاعة الطهطاوي في كتابه: «تخليص الإبريز في تلخيص باريز» باعتبار أن قاسم أمين لم يكن صاحب خطاب جذري، وتعتبر الكاتبة أن كتاب زينب فواز «الدر المنثور في طبقات الجذور» ١٨٩٣، المتمرد على الخطاب الذكوري، هو ما يجعل مؤلفته المجهولة، رائدة في محاولة تأسيس نموذج جديد للمرأة العربية.

من جهة أخرى تناقش أمينة غصن أطروحات بعض الكتاب والمبدعين العرب كعبد الله الغذامي في «المرأة واللغة»، و«النقد الثقافي»، وعبده وازن في ديوانه «حديقة الحواس»، لتخرج بعدة استنتاجات.

عزف منفرد

حول أزمة الثقافة العربية!

جرت الكثير من السجالات حول أزمة الثقافة العربية وأسبابها، فالبعض يعزي ذلك إلى غياب المشاريع السياسية اليوم، التي تقترح أفقا جديدا للمجتمع العربي، مما يفقدنا الحوار المجتمعي الذي يقدم اقتراحات من أجل النهوض والتقدم، والبعض الآخر يربط أزمة الثقافة العربية بغياب الديمقراطية التي وأدت المناخات الطبيعية لنمو وازدهار الثقافة العربية، والبعض الآخر لا يفصل التثقيف عن التسييس، ويضيف إلى ذلك عاملاً آخر هو العنصر الاقتصادي، والتراجع في مستوى دخل الفرد الذي جعل شراء الكتاب نوعاً من الكماليات الاجتماعية، لا يستطيع السواد الأعظم من الناس الوصول إليها.. وبغض النظر عن هذه الأسباب منفردة، أو مجتمعة، ورغم وجود أسباب أخرى لم نأت على ذكرها..

فإننا بدون شك أمام أزمة عميقة للثقافة العربية، يزيد في استفحالها السيطرة شبه الكاملة للوسائل السمعية - البصرية من تلفزيونات وفضائيات تتبع لسياسات إعلامية لا يهمها سوى الترويج للإعلان التجاري.. وتفتقد إلى سياسة ثقافية ناجعة مما يعمق كل ما هو سلبي في حياتنا، ويهمش الإيجابي فيها..

أمام هذه الصورة المعتمة.. وفي الفترة التي تواجه فيها الشعوب العربية أعتى هجمة صهيونية - أمريكية تستهدف الهوية العربية من جذورها.. فإننا أحوج ما نكون إلى البحث الجاد عن حلول ومخارج لأزمة الثقافة العربية.. ولعل ما يجري في فلسطين اليوم من تحديات على كل المستويات، يظهر بشكل فاقع حجم المخاطر الكبيرة المحدقة بهذه الأمة.. وبطبيعة الحال تلك الحلول المطلوبة، لن تكون في حقل الثقافة، بل في فضاء آخر أكثر اتساعاً يشمل المجتمع والدولة والمدرسة والسياسة والديمقراطية.. وبمعنى آخر إذا ما أردنا الحياة فأمامنا استحقاقات جدية لتطوير مجتمعاتنا العربية.. وإلا فعلى الدنيا السلام.

ع. ك

اصدارات

سياف الزهور لمحمد الماغوط

نبحر مع شاعرنا الكبير محمد الماغوط، ونحن نقرأ نصوصه النثرية - «سياف الزهور» الصادرة عن دار المدى بدمشق - نحو عواصف الألم.. وشرور الأوبئة.. وآثام الفقر والتخلف الذي يلف عالمنا العربي المعاصر.. وكما عودنا، يطلق الماغوط صرخاته بكلمات «بسيطة كالماء.. وواضحة كطلقة المسدس»، وبسخريته المرة يكشف الماغوط المسكوت عنه بجرأة قل مثيلها.. وهاجسه القضايا الراهنة، الأكثر سخونة في حياتنا: فلسطين التي تئن تحت جراحها وقضية الديمقراطية، وحريات الإنسان العربي الذي يعاني وطأة القمع، وأحلام البسطاء.. وآمال المسحوقين..

يقول الماغوط بسخريته اللاذعة: «كلما أمطرت الحرية في أي مكان من العالم، يسارع كل نظام عربي إلى رفع المظلة فوق شعبه، خوفاً عليه من الزكام».

مذكرات بورخيس بالعربية

صدر عن دار «المدى» بدمشق حديثاً، ترجمة الشاعر عابد إسماعيل عن الإنكليزية لكتاب الشاعر والكاتب الأمريكي ويليس بارنستون «أهم مترجمي بورخيس إلى الإنكليزية»، وهو عبارة عن كتاب مذكرات للشاعر الأرجنتيني الكبير، أضاف عليها معد الكتاب ظلالاً جديد بإضافة بعض الحوارات والنقاشات الشخصية والمحاضرات التي ألقاها بورخيس.

يقول بارنستون: «رغم انغماس بورخيس ببحر الفلسفة والشعر الأوروبيين إلا أنه لم ينس بونيس آيرس، كان يحب العالم السفلي والضواحي الفقيرة الشرسة لشمال الأرجنتين والأرغواي، وهي بقاع في مخيلته خارجة عن القانون، وهو أيضاً سليل رجال عسكريين، من بينهم أكثر من كولونيل يحمل اسم بورخيس، لهذا كان يحلم بدنماركيين تاريخيين يقومون بغزو شواطئ بريطانيا على متن سفنهم الزرقاء، ويحلم بأبطال قدامى، أغلبهم أوروبيون، حاربوا وماتوا عبر سهول البامبا وغابات الأمازون خلال حروب الفتح الأوروبي للقارة الشابة».

يقول بارنستون عنه: «في النزهات والوجبات المشتركة والأحاديث، دائماً كان ثمة صوت الأعمى، هذا العمى الذي منح بورخس موهبة الغوص في الذات، وفي طبقات الوعي السحيقة».

النخلة العاقر

رواية «النخلة العاقر» هي آخر أعمال الأديب والباحث التراثي الفلسطيني الكبير عبد الكريم الحشاش، وتصور الرواية طرق وحيثيات عبور الدوريات المقاتلة إلى الوطن المحتل براً وبحراً، ويصف كيفية بناء القواعد وسبل التخفي وتسجل لحظات الوقوع في الأسر.

وتبني تطور أساليب التحقيق وفنون التعذيب لدى أجهزة العدو، وصمود المواطنين وصبرهم وتهافت الضعفاء وسقوطهم، وتصف حياة ونضال المعتقلين، راصدة البعد الإنساني وحركة وأداء السجانين، وتتعرض لمحاولات الهروب سواء ما نجح منها أو ما أخفق.

الرواية من نوع الرواية التاريخية الكفاحية، فيها إضافة هامة ترتقي إلى مستوى الوثيقة، وجاءت في ٢١٤ صفحة من القطع المتوسط.

في ذكرى معركة القسطل
واستشهاد المجاهد البطل عبد القادر الحسيني

منظمة الجهاد المقدس
القيادة العامة
القدس

التاريخ ٩٤٨/٤/٦

مذكرة

السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية
القاهرة

اني أحملكم المسؤولية بعد ان تركتم جنودي في أو2 انتصاراتهم بدون ذخيرة أو سلاح.

عبد القادر الحسيني

المذكرة التي أرسلها الشهيد إلى الجامعة العربية يوم ٦ نيسان ١٩٤٨ وفي اليوم التالي استشهد بسبب نقص السلاح. ثم سقط القسطل في أيدي الأعداء. وبعد ٤٨ ساعة وقعت «مذبحة دير ياسين».

التاريخ يعيد نفسه

جنين يستشهد ولا يسقط

أحمد .م. جابر

تسعة أيام قاتل فيها المخيم الصامد، قاتل ولم يستسلم، قاتل بالطلقة والقنبلة والحزام الناسف والحجر، قاتل بالشجر، قاتل بالشوارع والبيوت والأزقة ووجوه الأطفال.. ولم يستسلم.

لم يسقط مخيم جنين، وأخطأ بل خسأ من يقولها.. بل قاتل واستمر في قتاله حتى النصر أو الشهادة.. خاض مخيم جنين المعركة نيابة عن جيوش العرب جميعاً.. نيابة عن الأمة ليحفظ لها ما تبقى من كرامتها.. لم يكن مخيم اللاجئين في الوطن يدافع عن نفسه فقط، بل كان يدافع عن هوية وطنية، سعى الفاشي الصهيوني وما يزال لإبادتها، يدافع عن حق خمسة ملايين لاجئ خارج الوطن في العودة إلى سخنين وحيفا ويافا واللد وبيسان وصفد.. يدافع عن حقي في العودة إلى الخليل.

يدافع عما تبقى من ضمير العالم الذي لا يستحق النعي.. يدافع عن شرف الإنسان.. أو ما تبقى منه.. لم يتوهم أنه قادر على سحق دبابات العدو، لم يغتر بقوته ولكنه كان يدافع عن فكرة المقاومة!

يستشهد جنين ولا يحني هامته.. تصمد البيوت حتى الرمق الأخير، تسحقها الدبابات بجنازيرها المتوحشة ولا ترفع الراية البيضاء.

في اليوم الذي يذبح فيه مخيم الشهداء.. مخيم الاستشهاديين، يجتمع رموز الإمبريالية القذرة في مدريد، ليندوا بالضحية.. ليعلنوا أنهم يحرمون الضحايا والى الأبد ليس فقط من حق الدفاع عن النفس، ولكن أيضاً من حق البكاء على قبورهم..

يرسم وزير الإمبراطورية المتوحشة حدود الأمل الفلسطيني.. بل يحاول أن يفرض حدوداً.. ولكن هيهات.. كيف سيتجاوز القتلة عقدة جنين.. كيف سينسى شعبي دمه في جنين.. هيهات..

اليوم في مسيرة مخيم اليرموك، كان هناك أمل.. كان هناك صوت اللاجئين الذين التحموا بجنين مثل طوفان.. صار جنين في كل بيت وكل قلب وعلى كل لسان. انحفر في عيون الصبايا وهتافات الشباب وضمير الأطفال الذي ولا أنقى..

الطفلة نسرين.. ابنة الثامنة.. وهي تهتف لفلسطين وجنين محمولة على الأكتاف كانت ترد على اجتماع مدريد.. وتقول لهم: إن جنين يستشهد ولا يسقط.. وأننا كل قرية ومدينة ومخيم نعمر جنين من جديد، صديقي المحمول على الأكتاف.. أعلنها صراحة.. لن ننسى ولن نغفر.. ولن نرفع الراية البيضاء.. وستبقى جنين صخرتنا التي تتحطم عليها المؤامرة.. نستشهد.. ولا نستسلم.